

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معهد الآثار

جامعة الجزائر-2-

الوسائل والأدوات المستعملة في تدوين  
التراث المخطوط بالمغرب الإسلامي من  
القرن الأول إلى نهاية القرن السادس الهجري  
(8-13م)  
دراسة مخطوطيه وفنية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية

تحت إشراف:

الأستاذ الدكتور-صالح بن قربة

إعداد الطالب:

عبد الحق بالنور

السنة الجامعية: 2011/2012م.

# شكر و عرفان

أشكر الله عز و جل الذي أعانني ووفقني لإتمام هذا العمل المتواضع  
كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان والتقدير إلى الأستاذ الدكتور "صالح بن قربة"  
لقبوله الإشراف على هذا العمل المتواضع في مجال البحث العلمي وأدعو الله العلي القدير أن  
يرفع بقدره في العليين ويجزل له عظيم الأجر والثواب على تتبعه لي لمراحل البحث، موجهها  
ومرشدًا ومصححًا بروح علمية، فكان لنا السند والمنبر، كما دلنا بعينه البصيرة على كل المآثر  
التي تدخل بصلب الموضوع، والتوجيهات التي لولاها لما تمكنا من إخراجه بما هو عليه، فنتقدم  
بجزيل الشكر والعرفان، ونسأل الله أن يحفظه وأسرته ويرضى عنهم أجمعين .

مقدمة

تمهيد:

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا وحبيبنا المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم .. أما بعد:

لقد حاول الإنسان منذ القديم تجسيد أفكاره والتعبير عنها فلم يجد له سوي الكتابة، والتي تمكننا بدورها من معرفة المستوي الحضاري للفترات التي عاشها الإنسان، فتعد الحضارة الإسلامية من أرقى الحضارات التي عرفتها البشرية، وأكثرها إنتاجا وانتشارا، وأفضل دليل على رقيها تلك المخلفات المادية والشواهد الأثرية والتراث الفكري الذي يعكس بدوره خلاصة تجارب شعوب وابتكارات علمائها والذي ترجم بلسان عربي.

فبعد تراثنا المخطوط أضخم موروث عرفته البشرية ويعود هذا لإمتداد الرقعة الجغرافية والأبعاد الزمنية للحضارة الإسلامية، فوصلت إلينا من الموروث الفكري ملايين الكتب في مختلف العلوم رغم ما تعرضت له من إتلاف بسبب الحروب، وهذا من أجل طمس هويته الحضارة الإسلامية، وهشاشة موادها صناعتها من جهة أخرى.

فنجد أن البحوث والدراسات في هذا الحقل قليلة إذا ما قورنت بالدراسات الأخرى، فمجملة البحوث جاءت لتأسيس المفاهيم العامة والخاصة منها .

ومما لاشك فيه أن دراسة المخطوط العربي قد تطورت وتوسعت بفضل جهود الباحثين الذين تخصصوا بهذا المجال، خاصة أنه عرف مع تزامن انتشار الدولة الإسلامية فتنوع المخطوط العربي باختلاف المناطق، فهناك المخطوط المشرقي و المخطوط الفارسي و المخطوط المغربي .. الخ، إلا أن هذا الأخير لم يحظ بالإهتمام الكافي الذي يليق بمقامه.

وإذا كان المخطوط (الكتاب) هو المادة الأساسية لعلم المخطوطات فلم يتم الإجماع حتى الآن على وضع مفهوم دقيق لهذا العلم يحدد مجالاته وأبعاده ومصطلحاته، فدراسة المخطوط دراسة أثرية تقوم بإعادة صياغته وبنائه باعتباره دليل مادي، ينفذ منها لمعالجة مختلف جوانب المعرفة التاريخية، ونخص بالذكر البحث في تناقل النصوص، وتاريخ كتابتها وكتابتها و ناسخها علي سبيل المثال لا الحصر.

**1 \_ التعريف بالموضوع وأهميته في الدراسات الأثرية :**

ما ان جاء الإسلام حتى اتخذت الكتابة مساراً جديداً، وأضحت منصبا يطمع لها الجميع، وأول عمل قام بإنجازه الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه طلب من بعض أسري قريش بعد معركة بدر، أن يحرروا أنفسهم مقابل أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، فكان لها أثر كبير في انتشار الكتابة والحث على معرفتها، ولعل الأهمية البالغة تكمن في تدوين القرآن الكريم وكتابة الحديث الشريف، وتحديد العلاقات العامة بين الناس ممن عقود ومواثيق.. الخ، فقد نص القرآن الكريم علي المكاتب في سورة البقرة. فكانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها، وأربح البضائع وأنفعها، وأفضلها أجراً فإهتم المسلمون بمواد صناعتها والتي تطورت وتنوعت بتطورها واختلاف أقاليمها.

وتكمن أهمية دراسة أدوات الكتابة عامة في الدور الذي تؤديه في تدوين التراث بمختلف فروعه وأنواعه الفكرية والعلمية، فكلما زادت معرفتنا بالأدوات المستعملة في إنجاز صناعة المخطوط، ساعدتنا على فهمه وصيانته وحفظه من عوامل التلف والزوال، وبالنظر لخطورة هذا الجانب ورغبة منا في المساهمة في استجلاء غموضه وإبراز أهمية مسيرة الفكر الإسلامي وتطور أدوات الكتابة، فقمنا بصياغة هذا الموضوع الهام بمذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية فرع علم المخطوطات .

وهكذا فمن خلال دراسة أدوات المخطوط نساهم في التعرف على طبيعته وأنواعه ، وتاريخه وتحديد مفاهيمه، ومصطلحاته، ودوره في ازدهار الحياة الفكرية والعلمية، ونظراً لوسع الحضارة العربية الإسلامية وامتداداتها المكانية والزمنية سنقتصر في دراستنا علي مساهمة بلاد المغرب الإسلامي من خلال الأمثلة المحفوظة في خزائن الجنوب الجزائري.

وتبدوا أهمية الكتابة ودورها في المجتمع، من خلال تأثيرها في حياة الإنسان ، باعتبارها وسائل تقوم بإشباع روح المسلم.

لذا تعتبر الكتابة عامة من الأسس الهامة والضرورية ، في اقتصاد المجتمع وتقدمه وتطوره دائما بمجموعة من العوامل ، وهي الاستقرار السياسي والاجتماعي، مما يساعد علي الرقي، وفرة اليد العاملة الماهرة ، وتوفر المواد الأولية للكتابة، ناهيك عن نشر تعاليم الدين.

**2 \_ أسباب اختيار الموضوع :**

لقد تجمعت عدة أسباب دفعتني إلى اختيار دراسة هذا الموضوع وهي كالتالي :

**أ \_ أسباب موضوعية :**

يبدو جليا أن موضوع بحثنا هذا لم يسبق أن تناوله أحد الدراسيين بهذه الكيفية ، رغم أهميته في الكشف عن مظاهر التطور التي مرت بها صناعة الكتاب وكذا الأدوات المباشرة تفنن في صنعها الخطاطون والكتاب، لذا يعتبر من هذا الجانب موضوعا بكرا وجديدا وما ألف حوله ،معلومات شحيحة ومبتورة ومتضاربة أحيانا، مما ساعدنا على تحديده و ضبطه ليمكننا من التعريف بالموضوع و إبراز خصائصه، فكل ما يتعلق بدور بلاد المغرب الإسلامي في هذا المجال لم يحض بالاهتمام الكافي من قبل الباحثين باستثناء بعض المحاولات المتفرقة هنا وهناك وهي قليلة إذا ما قورنت بحجمه ودوره.

**ب \_ أسباب ذاتية :**

أما الذاتية فهي نابعة عن ميولي الشخصي و مدى تأثري و إعجابي بالتراث المخطوط الذي خلفه علماء حضارتنا ، و اهتمامي البالغ لمعرفة الوسائل والأدوات التي دونوا بها تلك المخطوطات، رغم صعوبة الظروف البيئية التي عاشوا فيها و كيفية إعداد المخطوط و زخرفته.

**3 \_ الإشكالية العامة للدراسة :**

تتلخص الإشكالية في صعوبة معرفة أصالة الوسائل والأدوات المستعملة في تدوين التراث المخطوط بالمغرب الإسلامي، مما يدفعنا إلى جلة من التساؤلات نذكر من أبرزها:

- ما مكانة القلم في الحضارة الإسلامية؟.
- أين تظهر اهتمامات الكتاب للقلم وكيفية برهه؟.
- ما هي المقاييس المطلوبة في تحديد أنواع الأقلام المستعملة لتدوين المخطوط؟.
- ما هي المواد التي كانت تصنع منها أدوات الكتابة؟.
- هل يمكن الإستناد إلى الخط في تحديد تاريخ نشأة المخطوط وتحديد أماكن صناعته؟.
- ما هي الأدوات المساعدة في الكتابة؟ كيف يمكن التعرف على أنواع الأمددة وطرق استعمالها، وما دور الألوان في كتابة المخطوط؟.
- ما مركز بلاد المغرب في صناعة أدوات الكتابة وتطورها؟.
- وأسئلة كثيرة غيرها، ستكون نقاط معالجتنا لهذا الموضوع الشائك.

**4 نقد أهم المصادر والمراجع:**

لإنجاز بحثنا هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، التي كانت بمثابة المنهاج والندراس الذي أضواء لنا الطريق، وكانت لنا السند في الإجابة على أهم التساؤلات السالفة الذكر.

**أ-التقيد الجموع لمن هو بهذا الفن مولع: (مخطوط)**

لمؤلفه يوسف بن عبد الحفيظ التتلاي، عاش في القرن الثاني عشر للهجرة، (ملك خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي، كوسام ولاية أدرار، قام بنسخه الطيب بن عبد الله بن سالم، سنة 2001م)، فيعالج هذا الكتاب كيفية عقد المداد الأسود وغيره من الألوان المستعملة ببلاد المغرب الإسلامي.

**ب-أدب الكاتب:**

لمؤلفه ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفي سنة (276هـ-889م)، وهو من كتاب القرن

الثالث الهجري التاسع ميلادي، تقديم علي فاعور، طبعة بيروت، دار الكتب العلمية سنة

1408هـ/1988م، فصنف هذا الكتاب للوزير أبي الحسن بن يحيى بن خاقان البرمكي أحد وزراء الخليفة

المتوكل العباسي، ويحتوي هذا الكتاب على أربع أقسام هي: كتاب المعرفة، تقويم اليد، تقويم اللسان، الأبنية من

الأفعال والأسماء، وقد أفاد البحث منه في المعلومات التي قدمها عن العلوم والمعارف والأخلاق التي يجب أن

يتمسك بها جميع الكتاب قبل الخوض في الكتابة إلى نهايتها، والتي تعد بدورها من أبرز مقومات الكتابة .

**ج-أدب الكتاب:**

لمؤلفه أبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة (335هـ-946م)، حيث عاش في القرن الثالث

وبداية القرن الرابع (مصر، المطبعة السلفية، 1341)، يعد هذا الكتاب من الكتب الأساسية التي اعتمدنا

عليها في بحثنا هذا، فقد كان الصولي أديبا كاتبيا، وأحد العلماء الذين اهتموا بالأدب والمعرفة، وقد قسم كتابه

ثلاثة أجزاء، عالج في الجزء الأول الكتابة والخط والقلم، ويتضمن الجزء الثاني أدوات الكتابة، وهما موضوع

بحثنا بينما الجزء الثالث يتكلم عن وجوه المال وأصنافها ولمن تجب، فليس لها صلة بالموضوع، عدا أنه كان

جزء يُخصص للكتاب، فقد أفاد بحثنا في أمور شتى منها: فضل الكتابة وما جاء في وصف أدوات الكتابة سواء كان نثراً أو شعراً مع ذكر مواد الكتابة وفضل الخط، فهو إذن من المصادر التراثية الذي لا يستغني عنه باحث في هذا الحقل من الدراسات المتميزة.

### د-عمدة الكتاب وعدة ذوى الألباب:

المنسوب خطأ للمعز بن باديس الصنهاجي المتوفى سنة (454هـ-1075م)

، حيث عاش في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس هجري، (حققه وقدمه نجيب مايل الهروي-عصام مكية، إيران، قام بنشره مجمع البحوث الإسلامية 1409هـ، ط1، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة)، يعد هذا الكتاب من أبرز المصادر التي أفدت بحثنا هذا، قسم كتابه لمقدمة عالج بها سبب تأليف كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوى الألباب، وفي بابه الأول في ما جاء في فضل العلم والخط وصفة انتخاب الأقلام الجيدة، وصفة السكين وتقنيات البري والنحت، وصفة الدواة، وعالج في بابه الثاني في عمل المداد، وصفة المداد الصيني والكوفي والفارسي والهندي العراقي، كما عالج في بابه الثالث في عمل الأحبار السود بمختلف أنواعها، وعالج في الباب الرابع الأحبار الملونة، وعالج في الباب الخامس في عمل الليق، أما في الباب السادس فقد عالج خلط الأصباغ والألوان وتوليدها، وعالج في الباب السابع في الكتابة بالذهب والفضة والقصدير وما يقوم مقامه، ليعالج في الباب الثامن في وضع الأسرار في الكتب، وعالج في الباب التاسع في عمل ما يحمي به الكتابة من الدفاتر والرقوق، وليمعالج في الباب العاشر في عمل الغراء والحلزون، وعالج في الباب الذي يليه في عمل الكاغد، ليعالج في الباب الأخير في صناعة التجليد، فكان لنا سنداً في جميع مراحل بحثنا هذا .



## ذ-الإقتضاب في شرح أدب الكتاب:

لمؤلفه ابن السيد البطليوسي عبد الله بن محمد المتوفى سنة ( 521هـ-1127م) حيث عاش في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري،(تحقيق وتقديم هلال ناجي،العراق،مجلة المورد،دار الشؤون الثقافية العامة،م15،ع4)، ويعتبر هذا الكتاب شرح لكتاب ابن قتيبة، قسمه إلى ثلاثة أجزاء،عالج في الجزء الأول في شرح خطبة كتاب ابن قتيبة،وما يتعلق بذلك من ذكر أصناف الكتاب وآلاتهم،وعالج في الجزء الثاني إنتقاده له وتكلمه عن الأخطاء التي وقع فيها،ومما منع من أشياء جائزة وعالج في الجزء الثالث لشرح الأبيات التي ورد ذكرها في ثنايا الكتاب،وقد افاد بحثنا في آلات التي اتخذها الكتاب .

## ر-اعتاب الكتاب :

لإبن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضامي المتوفى سنة ( 658هـ-1259م)عاش في أواخر القرن السادس الهجري،(تحقيق وتقديم صالح الأشر،سوريا،مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،1961)قسمه إلى ثلاثة أقسام،عالج في الجزء الأول والمتمثل في المقدمة استعراضه لموضوع الكتاب والغرض من تأليفه وعالج في الجزء الثاني تراجم الكتاب والجزء الثالث يتمثل في خاتمة الكتاب والتي تناول غايته من تأليف الكتاب،فهو مصدر تاريخي يكشف لنا جانب من حياة الكتاب بالمغرب الإسلامي،خاصة أنه عمل بالدواوين،لذا فقد أفادنا في تراجم كتاب المغرب الإسلامي.

## ز-وفيات الأعيان وأبناء الزمان:

لشمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خليكان المتوفى سنة ( 681هـ-1282م)،عاش في القرن السابع للهجرة،(تحقيق احسان عباس،بيروت،دار صادر،1968م)وهو كتاب تراجم يقع في ثمانية مجلدات وهو كتاب قيم في دراسة الشخصيات،فقد أفادنا في ترجمة بعض الكتاب والشخصيات ومعرفة أهم إنجازاتهم في تلك الفترات وأهم الأحداث التي عاصروها وهذا للتوضيح والزيادة من التدقيق،ناهيك عن

إبرازه علاقة الكتاب بالخليفة والوزير والدواوين، وهذا لتجنب تشابه الأسماء والشخصيات وانتساب الأشياء لغير أصحابها.

س- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر:

لعبد الرحمان ابن خلدون المتوفى سنة ( 808هـ — 1406م)،(القاهرة، لجنة البيان

العربي، 1966م)، عاش في نهاية القرن الثامن للهجرة، يتألف من سبعة أجزاء كبيرة يهمنها جميعا الجزء

الأول المعروف بالمقدمة والتي قام بتحقيقها ونشرها الأستاذ الدكتور على عبد الواحد، في أربعة أجزاء لعل

أهمها بالنسبة لموضوع بحثنا الجزء الثاني وقد خصص في الفصل الثلاثين في الخط والكتابة وإعتبارهما من

صنائع الشرفية، والفصل الحادي والثلاثين من نفس الجزء في صناعة الوراقة، فيعد من أحد المصادر التي يجب

الإطلاع عليه، خاصة عندما يتعلق الأمر ببلاد المغرب الإسلامي .

س - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:

لأبي العباس أحمد القلقشندى المتوفى سنة ( 821هـ — 1418م)،(القاهرة، دار الكتب

المصرية، 1922)، ويعتبر كتابه هذا موسوعة أدبية ضخمة، فقد وزع محتوياته على مقدمة وعشر مقالات

وخاتمة استغرقت أربعة عشر جزءا، وما يهنا منها الجزء الثاني والثالث والجزء السادس، عالج في الباب الثاني

من المقالة الأولى في جزئه الثاني ما يحتاجه الكاتب من الأمور العلمية والمتمثلة في الخط، أفادنا في كل ما

يتعلق بشرف الكتابة وفضل القلم، وما يحتاجه الكاتب من المعارف، وعالج الباب الثاني من المقالة نفسها في

قوانين الكتابة ووضعه على الورق، وفي كيفية الإستمداد، ووضع القلم عند الأذن عند التفكير، ووضع في

الدرج، فضلا عن ذكره للأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء، ويعالج في الباب الثاني من المقالة الثالثة مقادير

المستعملة في قطع الورق وما يناسب كل مقدار.

أما المراجع الحديثة فهي قليلة جدا خاصة في ما يتعلق الأمر بدور بلاد المغرب الإسلامي فكان لي

المراجع:

أ- تاريخ الوراقة الغربية: لمؤلفه محمد المنوني (الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط 1، 1991)، فتطرق في

كتابه لتطور الوراقة المغربية علي حسب الفترات الزمنية للحضارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي، انطلاقا من

الفترات الأولى إلى نهاية مغراوة وبي يفرن، وعهد المرابطين والموحدين .

ب- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات: لمؤلفه أيمن فؤاد السيد، (القاهرة، الدار المصرية

البنانية، ط 1، 1998)، وهو كتاب قي ويعتبر كتاب شامل وأفضل دليل لمن يريد الخوض في هذا

الميدان، مؤلف ممن جزئين ، وما أفادنا في بحثنا هذا تطرقه للوسائل و الأدوات لكتابة المخطوط .

ج- المخطوط العربي وعلم المخطوطات: أحمد شوقي بنين، (الرباط، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، 1991)، يتناول فيه لتقنيات إعداد المخطوط المغربي لمحمد المنوني، يعد من أحد الدراسات التي تعالج

موضوع بعثنا هذا.

## 5 \_ منهجية البحث :

من أجل دراسة موضوعا هذا لا بد من نوعين من الدراسة:

الدراسة النظرية: وذلك بالرجوع للمصادر و المراجع التاريخية و الأثرية و المقالات و الرسائل

الجامعية التي تناولت وسائل وأدوات كتابة المخطوط ، وتعتبر هته الدراسة كمفتاح لإثراء موضوع البحث ،

ويعتبر المنهج التحليلي فهو من أجل الوصول إلى معلومات منهجية دقيقة .

الدراسة الميدانية: وهو ما يعرف بالجانب التطبيقي، والمتمثل في زيارة الزوايا وأماكن حفظ

المخطوطات لدراستها حسب المنهج العلمي المعروف في علم المخطوطات، فاستعملت في تقنيات البحث

الميدانية المقابلات مع أصحاب الزوايا ، وبلتقاط الصور الفوتوغرافية .

للإجابة عن الأسئلة و بالنظر إلى كل ما استطعنا تحصيله من مادة علمية، ونظراً لطبيعة الموضوع

ومتطلباته، ولعلاجة الإشكالية المطروحة، ارتأينا أن نقسم الموضوع إلى مقدمة ومدخل عام وأربع فصول

وخاتمة .

نتولنا في المقدمة التعريف بالموضوع و ابراز أهمية الموضوع ، و اشكالية البحث ، ناهيك عن نقد المصادر والمراجع وذكر خطة منهجية البحث.

أما المدخل العام فتناولنا فيه تعريف المخطوط، ظهور الكتابة والأدوات البدائية، أهم الخطوط المستعملة بالمغرب الإسلامي ، ولأجزاء الدواة بمفهومها القديم.

وعالجنا في الفصل " الأول أهمية القلم ودوره الحضاري " من خلال ذكر فضل ذكر القلم ، ووصفة القلم وأنواعه، والمواد التي يصنع ويستعمل بها ببلاد المغرب الإسلامي ، كما تناولنا تقنيات البري والكتابة بالأقلام.

أما الفصل الثاني في " ذكر المداد وأهميته "، من خلال فضل ذكر المداد، و مواد وتقنيات عقدها ، ومستلزمات المداد، وكيفية الإستعداد منها ببلاد المغرب الإسلامي.

أما بالنسبة للفصل الثالث فقد تطرقنا فيه للأدوات المستعملة في الكتابة بالمغرب الإسلامي قبل دخول الورق، وبعد ظهوره وانتشار استعماله ، كما عالجنا أنواع وأحجام الأوراق ، لنختتم هذا لفصل بمستلزمات مواد الكتابة.

بينما كان الفصل الرابع خاص بدراسة أدوات تجميل المخطوط ، ممن خلال الترميل والتجليد ولمختلف الأدوات المستعملة في ذلك ببلاد المغرب الإسلامي .

وقد أئقنا هذه الدراسة بخاتمة عبارة عن حوصلة والإجابة على الإشكالية التي تم طرحها بالمقدمة، وثبت بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية يليها الأشكال واللوحات الموضحة للمتن.

## 6 \_ صعوبات الدراسة:

إن إنجاز البحوث العلمية ليس بالأمر السهل ، سيما إذا تعلق الأمر بالمخطوط فالبحث في طياته شاقاً ومتعباً، وليس بالأمر الهين فقد واجهنا صعوبات من أبرزها:

– قلة المصادر والمراجع التي تعالج موضوعنا فكل ما جاء مجرد إشارات سطحية خاصة عندما يتعلق الأمر ببلاد المغرب الإسلامي.

– قصر المدة المخصصة للبحث ، لا تسمح لنا بالتنقيب عن المخطوطات، فالبحث عن المخطوطات التي تناولت هذا الموضوع، فلا بد من زيارة جميع الزوايا الموجودة بالجنوب الجزائري ، فهذه الزيارات لا بد لها من برنامج و ميزانية خاصة .

## 1-تعريف المخطوط:

إذا قمنا بالبحث عن لفظ كلمة مخطوط في أمهات المعاجم العربية<sup>(1)</sup>، فيبدو لنا أن هذا اللفظ لم يكن معروفاً أو متداولاً من قبل، باعتباره يمثل المادة الأساسية لعلم المخطوطات<sup>(2)</sup>، وإلي يومنا هذا لم يكن هناك إجماع علي وضع لفظ دقيق له، ومع ذلك توجد تعريفات خاصة بلفظ المخطوط حيث ورد ذكرها، في المعاجم والموسوعات الحديثة، فيعرفه الدكتور أحمد شوقي بنين: هاته الكلمة التي نريد بها الكتب المكتوبة باليد و ترجمت لكلمة *manuscrit* الفرنسية<sup>(3)</sup>، وأصل هته الكلمة مكونة من جزأين اليد ويطلق عليها بالفرنسية *main*، والكتابة يطلق عليها *écrit*<sup>(4)</sup>، والبحث عن المصطلحات التي كانت متداولة آنذاك نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر: المؤلفات وكتب الأصول والكتب الأمهات أو الكتب الأساسية لاحتوائها علي أساسيات العلم<sup>(5)</sup>، لذا لم يرد ذكرها في أمهات المعاجم القديمة، فالمخطوطة لغة مأخوذة من خط، يخط خطأ باليد أي كتب أو صور اللفظ بحروف هجائية بالقلم، وغيره من أدوات الكتابة<sup>(6)</sup>، معني أن كلمة كتاب أو رسالة أو مؤلف كانت هي الألفاظ الدالة علي المخطوط آنذاك<sup>(7)</sup>، إذ لا يوجد بديل آخر. ويرى الدكتور عبد الله عبد الرحيم عسيلان أن التراث العربي المخطوط هو ما وصل إلينا من مؤلفات ومصنفات مكتوبة بخط مؤلفيها، أو بخط أحد النساخ قبل عصر الطباعة في العصر الحديث<sup>(8)</sup>.

(1) - نخص بالذكر لسان العرب لابن المنصور، والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروز آبادي وتاج العروس للزبيدي، علي سبيل المثال لا الحصر.

(2) علم المخطوط (*LA Codicology*) هو علم يهتم بدراسة الكتب المخطوطة كاشياء مادية.

(3) - أحمد شوقي بنين ومصطفى طوي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، قاموس كوديكولوجي، مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، ط 2003م، ص 164.

(4) - لمزيد من التفصيل أنظر: عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، الرياض، كلية الآداب، 1999، ص 67.

(5) - السيد السيد النشار، في المخطوطات العربية، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية، 1998، ص 8.

(6) - بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لشاق، بيروت، ج 10، ص 563.

(7) - عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص 68.

(8) - عبد الله عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع النهج الأمثل، الرياض، مكتبة الملك فهد، 1994، ص 39.

ونخلص مما تقدم أن كلمة المخطوط بمفهومها الراهن لم تكن معروفة تماما، وإنما استعيب عنها باسم الكتاب، أو المؤلف أو غير ذلك من التسميات المتداولة، لأن الكتاب كان يشكل الأداة الفعالة الحاملة للثقافة ولا يوجد هناك بديل آخر وبالتالي فإذا ذكر الكتاب مهما اختلف محتواه فكان يعنى المخطوط المكتوب باليد، وهكذا تواصل هذا المصطلح إلى ظهور الطباعة حيث تدخلت على المخطوط أساليب تقنية غيرت كتابته من اليد إلى الآلة، فيصعب علينا الجزم عن أول نص عربي ورد اللفظ، وذلك لتسميتهم للكتب آن ذلك تسميات مختلفة انطلاقا من القرن الأول للهجرة ومن بين تلك التسميات: الرقيم<sup>(9)</sup>، السفر<sup>(10)</sup>، الرسالة<sup>(11)</sup>.. الخ، لتطور التسميات على الكتاب في عصر النهضة العلمية التي شهدتها الدولة الإسلامية، والتي انطلقت بتدوين كتاب الله والدواوين لتشمل بعد ذلك كلتي المجالات، فأصبح يطلق على الكتاب باسم المؤلفات و المصنفات و المدونات والجامع<sup>(12)</sup>.

أما الموضوعات التي يتناولها المخطوط العربي الإسلامي فلا يمكن حصرها فتتنوع بتنوع موضوعاتها فنجد منها المخطوطات الدينية والأدبية والفلسفة والعلمية.. الخ، فانتشار الإسلام في بادئ الأمر أدى إلى تضافر جهود كتاب ومفسمري القرآن الكريم في نسخ و تأليف وكتابة تفاسيرهم للمصحف الشريف<sup>(13)</sup>، مما أدى الى اتساع رقعة الكتابة لتشمل بذلك كتابة الأحاديث النبوية<sup>(14)</sup>.

9- الرقيم: يقول الفراء "الرقيم لوح مصنوع من الرصاص كتب عليه أسماء أصحاب الكهف وأسباب فرارهم، وقيل الرقيم هو الكتاب ولزيد من التفصيل أنظر لسان العرب لابن منظور.

10- السفر: بكسر السين هو الكتاب الكبير وقيل هو جزء من التوراة، وجمعه أسفار، ولزيد من التفصيل أنظر لسان العرب لابن منظور.

11- الرسالة: مشتقة من فعل أرسلت، ويقال جاء الرسول أي يحمل معه رسالة ولزيد من التفصيل أنظر لسان العرب لابن منظور.

12- أحمد منصورى، واقع وآفاق صيانة وحفظ المخطوطات بالجزائر مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص صيانة وترميم، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2008/2007، ص17.

13- سماء زكي المحاسني، دراسات في المخطوطات العربية الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999، ص18.

14- قد تتضارب الآراء حول نهي النبي عليه الصلاة والسلام لكتابة أحاديثه الشريفة، مستندين في ذلك إلى أحاديثه الصحيحة، والتي تنهى عن نهي لكتابة أحاديثه تصريحاً جازماً، لا يرتئى إليها الشك، والأصل في نهي النبي عليه الصلاة والسلام عن الكتابة بأمرين أو لهما: خوف النبي عليه الصلاة والسلام من أن يخلط المسلمون في تلك الفترة المبكرة بين أحاديثه الشريفة، والآيات القرآنية التي يكتمل بعد نزولها. **ثانياً:** خوف النبي عليه الصلاة والسلام من أن يترك المسلمون الحفظ وينصرفوا للكتابة، فأراد فكان له ذلك بتوفيق من رب العالمين، ولزيد من التفصيل أنظر: عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002.

رغم تنوع مواضيع التي تم تناولها، فإنه لا يخفي علينا أن علم المخطوط يعتمد في دراساته علي المصحف الشريف، اعتماداً كاملاً فالقرآن الكريم كتاب الله وكلمته التي اجتمعت حولها الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، والذي نزل علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم طيلة ثلاث وعشرين سنة في كل من مكة والمدينة، فقد جمع القرآن الكريم كتابة في عهد النبي عليه السلام، فكان يتدارسونه ليلاً نهاراً.

يقول سبحانه عز وجل ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾<sup>(15)</sup> فاتخذ النبي عليه الصلاة والسلام كتاباً للوحي فمن أبرزهم الخلفاء الأربعة وزيد ابن ثابت وأبي كعب، فكان الرسول يملئ كتاب الوحي، ويوقفهم علي ترتيب الآيات مصداقاً لقوله تعالي ﴿ **إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** ﴾<sup>(16)</sup> إلي غاية اكتمال الوحي.

تتضارب الآراء حول أول من قام بجمع القرآن<sup>(17)</sup>. حيث كتب المصحف الشريف بأيد خطاطين في جميع الفترات التي مرت بها الدولة الإسلامية إذ لا تخلوا أي فترة من الفترات التاريخية إلا ونسخ فيها المصحف الشريف مهما كانت الأوضاع التي تعيشها الدولة الإسلامية، وهذا باعتبار القرآن هو الركيزة الوحيدة لها التي بسببه قامت هذه الدول ولا تزال قائمة لأنه كلام الله بالمقام الأول.

15- الآية 9 من سورة الحجر .

16- الآية 17 من سورة القيامة.

17- فعن زيد بن ثابت، قال: "أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل استمرّ بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستمرّ القتل بالقراءة في المواطن، فيذهب كثيرٌ من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال عمر: هو والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل، لا تهتمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فتتبع القرآن فاجمعه - فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن - قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح به صدر أبي بكر وعمر. فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أحدها مع غيره حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح البخاري، السعودية، الريان، دت، ج6، ص314.

## 2- أهمية دراسة المخطوط:

يعتبر التراث المخطوط الجانب المضيء من حضارتنا، ومن المؤسف أن الإهتمام به في البلاد العربية عامة وبلاد المغرب الإسلامي على وجه الخصوص، لا يوازي هذا التراث سعته وغناه<sup>(18)</sup>.

لذا يعد المخطوط احد المصادر الرئيسية التي تحمل بين ثنايا سطورها الكثير من الحقائق التي لا بد من استكمالها، ومما لاشك فيه أن جل الدراسات التاريخية تعتمد اليوم اعتمادا كبيرا على المخطوطات المحققة، باعتبارها المصادر التاريخية الأصيلة التي يلجأ إليها في التحقيق و الاستبيان<sup>(19)</sup>، ولعلنا نري ونسمع في العديد من الأحيان كيف يزور التاريخ وتستخفي الحقيقة فيخدع الناس، فيمكننا القول بأن الأجيال المقبلة معذورة عندما تضل السبيل وتتبع الأباطيل<sup>(20)</sup>.

ولعلنا نتساءل لماذا يحاول الغرب طمس الهوية الإسلامية وتشويهها، لعل الإجابة تكمن أن الأمة العربية الإسلامية كانت ولا زالت من أعرق الأمم التي خلدها التاريخ، بما خلفته من تراث فكري مخطوط، فيمثل أحد مكوناتها الثقافية وهويتها العربية الإسلامية، فإذا كانت الدول التي تمتلك أكبر رصيد من المخطوطات العربية والإسلامية هي نفس الدول التي تتمتع بقدر كبير من التقدم العلمي وتنصدر قائمة الدول الصناعية الكبرى، ألا يمكن أن يكون لتقدمها علاقة بامتلاكها لذلك القدر الضخم من التراث الثقافي الإسلام المكتوب<sup>(21)</sup> الذي نهب وسلب منا أنظر الجدول رقم 1 من الملحق، خاصة أن النهضة الفكرية والثورة الصناعية قامت علي أنقاض الدولة الإسلامية.

---

(18)- صالح بن قرية، إشكالية فهرست المخطوطات العربية، الملتقى المغربي الأول للمخطوطات، جامعة تيارت، أيام 13-14 ديسمبر 2003، ص1.

(19) -Gacek (Adam), the Arabic manuscrit, bril, 2001, P18.

(20)- محمد الغزالي، الحق المر، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ط1، 1987، ص51.

(21)- محمد العلمي السائحي، أهمية المخطوط ودوره الحضاري، اليوم الوطني الدراسي لواقع المخطوط في الجزائر، 31 ماي 1999، ورقة، مؤسسة أشغال الطباعة، 2000، ص ص 28-29.



أدى هذا العدد الهائل من المخطوط إلى تسابق المؤسسات الثقافية والتعليمية في البحث عما بقي من هذا التراث المخطوط بغية إزاحة الغبار عنها وتحقيقها وصيانتها و إنقاذ ما يمكن إنقاذه وتعميم نفعها، فأخذت أقسام المكتبات في الجامعات العربية علي عاتقها مسؤولية تخريج أخصائيين في مجال المخطوطات،<sup>(22)</sup>.  
وللحديث عن نشأة دراسة المخطوط لا بد لنا من الحديث عن نشأة علم البيولوجرافيا<sup>(23)</sup> عند المسلمين وهذا للتداخل الكبير بينهما.

تعتبر فهرست<sup>(24)</sup> ابن النديم عمل بيولوجرافي بأدق معني الكلمة، هذا لإحصائه الكتب التي ألفت باللغة العربية أو ترجمت إليها في مختلف الميادين حتى سنة 377هـ/987م<sup>(25)</sup>، فيكاد يتفق إجماع الباحثين علي أن فهرسة ابن النديم أول عمل بيولوجرافي في اللغة العربية، والذي أراد به ابن النديم أن يكون كتابه حاصرا لكل ما ألفت في اللغة العربية، وكل ما ترجم إليها في مختلف فروع المعرفة حتى السنة السالف ذكرها<sup>(26)</sup>، لكنه لا يمكننا الجزم علي أنه أول من استعمل كلمة الفهرس أو الفهرست للدلالة على ما يقابلها البيولوجرافيا في عصرنا، فنجد اللفظ قد استخدم قبله بقرنين، من الزمن بدليل أنه ينقل عن فهرست كتب جابر بن حيان، فهرست كتب الرازي<sup>(27)</sup>.

فالقوائم البيولوجرافية والفهارس المطبوعة تتفق علي أنها تجمع فيها الكتب، مع ذكر مؤلفها وناسخها وسنة النسخ ومكان النسخ، وهذا لتجنب التشابه.

---

21- عبد العزيز بن محمد المسفر، المرجع السابق، ص9.

23- البيولوجرافيا: هو مصطلح يوناني الأصل مركب من كلمتين (بيلو) وتعني كتاب و(جراف) تعني النسخ، فعلم البيولوجرافيا يهتم بالبيانات الوصفية الأساسية للكتاب كإسم المؤلف، عنوان الكتاب، عدد النسخ، مكان النسخ، الخ، فهو علم قائم بحد ذاته.

24- الفهرست: كلمة فارسية معربة ويعرف المعجميون العرب (الفهرس) بأنه الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، فنقول فهرس الكتاب، فهرس الأعلام أو الأماكن، ولكل واحد منها معني خاص فهرس الكتاب هو قائمة محتوياته، وفهرس الأعلام الذي يذكر أسماء الأشخاص أو الأماكن، ولمزيد من التفصيل أنظر: 1- صالح بن قرية، إشكالية فهرست المخطوطات العربية، ص4.

2- Binbine (Ahmed chouque), histoire des bibliothèques ou Maroc, rabat, 1992.

25- صالح بن قرية، نفسه، ص4.

26- عبد الستار الحلوجي، المخطوطات والتراث العربي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2002، ص 131.

27- صالح بن قرية، نفسه، ص5.

ومما لاشك فيه أن دراسة المخطوطات العربية في الوطن العربي المغرب الإسلامي على وجه الخصوص، قد تطور وتوسع بفضل إقبال الباحثين واهتمام المعاهد، وهذا بغية إثراء الدراسات وإرساء قواعد وأسس لهذا العلم الذي يعد حديث النشأة والتي لم تحدد معالم بعد.

فيرجع نشأة هذا العلم لأواخر القرن التاسع عشر، عندما بدأ الأوروبيون يضعون أصولاً علمية لنشر التراث الكلاسيكي اليوناني واللاتيني، فاستعمل المستشرقون تلك القواعد والأصول في نقد الكتب العربية والشرقية لكنهم لم يؤلفوا في ذلك تأليفاً خاصاً، لذا يعتبر أول كتاب صدر في هذا المجال أعدها بلاشير R. Blachère و J.Sauvaget، ونشرت في باريس سنة 1945م بعنوان قواعد تحقيق وترجمة النصوص العربية القديمة) **Règles Pour Edition et Traductions des Textes (Arabes).**

فبعد أكثر من عشرين سنة نشرت دار الكتب بالقاهرة سنة 1969م محاضرات كان قد ألقاها المستشرق الألماني علي طلبته السنة الأولى ماجستير بقسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة في العام الدراسي 1931/1932م، وقد أعدها وقدم لها الدكتور محمد حمدي البكري، وصدرت بعنوان: أصول نقد النصوص ونشر الكتب. فيعد هذا الكتاب من أفضل ما كتب في الموضوع، وأغناها بالأمثلة التوضيحية الشارحة<sup>(28)</sup>.

ولكن أول عمل علمي نشر في شكل كتاب كامل ومستقل هو كتاب تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون، الذي صدرت طبعته الأولى عن مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة 1954م، فحملت صفحته الأولى أول كتاب عربي في هذا الفن، يوضح منهجاً ويعالج مشكلاته<sup>(29)</sup>، وفي سنة 1955م قامت مجلة معهد المخطوطات العربية بنشر قواعد للتحقيق المخطوط<sup>(30)</sup>، فتعتبر هذه المؤلفات هي أول المحاولات الأولى لوضع البدايات الأولى لهذا العلم الحديث.

---

(28) - عبد الستار الحلوجي، نفسه، ص93.

(29) - أيمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة، دار المصرية اللبنانية، ط1، 1998، ص4.

(30) - عبد الستار الحلوجي، نفسه، ص94.

فبالرغم من أهمية هذا الموروث الثقافي التي تمتلكه الأمة، إلا أن ما كتب عنه لا يوازي سعته و بالمقدار الذي يستحقه، وربما يرجع هذا لطبيعته الأثرية من حيث أماكن وجودها وظروف اكتشافها وصعوبة التعامل معها لاختلاف مكوناتها عبر العصور، وباختلاف الأماكن، فتتباين طرق التعامل، ولكل منها طرق خاصة لدراستها والعمل على حفظها وصيانتها من التآكل والتلف خاصة أثناء الدراسة والبحث والتحقيق<sup>(31)</sup>.

إلا أنه رغم وجود العديد من البحوث والدراسات التي تسد الحاجة، إلا أن المشكلة الخطيرة التي تواجهها الأعمال العلمية الجديدة أن عددا هائلا من المخطوطات ما زال مجهولا<sup>(32)</sup>، بعضها لدى الأفراد وبعضها لدى الزوايا، ويرجع هذا لصعوبة الوصول، خوفا من سرقتها أو إتلافها من قبل طالبها فقد واجهنا هذا المشكل الكبير أثناء قيامنا بالتكوين الميداني لفهرسة المخطوط لمدينة تمراست ماي 2010 بإشراف الأستاذ الدكتور صالح بن قرينة لصالح معهد الآثار.

وهكذا ورغم ما أنجز من دراسات وبحوث حول هذا التراث المخطوط، فإنه مازال يحتاج إلى مزيد من البحوث والحفر والتنقيب، حتى نبرز على الأقل جانبا مضيئا منه، ليكون مرجعا للدراسين والباحثين والمهتمين بهذا الموضوع .

وهكذا بعد أن عرفنا أهمية هذا التراث في تاريخنا، يحين بنا الآن، التطرق إلى موضوع آخر لا يقل أهمية عنه ونعني به ظهور الكتابة.

---

(31) - مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص15.

(32) - عبد الستار الحلوجي، نفسه، ص168.

## 2- أ/ ظهور الكتابة:

يعتبر البحث عن أصل الكتابة أشبه بالبحث عن إبرة وسط كومة من القش ويرجع هذا للبعد الزمني علي مر آلاف السنين، وقلة مصادرها، يقول الدكتور محمد طاهر كردي: اختلفت الشعوب في الطريقة التي صوروا بها أفكارهم، ودونوا بها أخبارهم، فمنهم من رسم أفكاره رسماً حقيقياً ولعل الكتابات التصويرية تتحلي لنا في جدران الكهوف والمعابد والصخور معبراً بذلك عن الشيء المراد التعبير عنه، فتختلف طريقة التعبير من فئة إلى أخرى فترتقي بمرور السنين<sup>(32)</sup>.

فمن بين الكتابات الرمزية التي كتبها الإنسان، الكتابة الميروغليفية و المسمارية التي استطاع العلماء فهمها بعد العديد من الدراسات والبحوث، فيتراوح عمر هذه الكتابة عما يزيد عن خمسة آلاف سنة<sup>(33)</sup>.

هكذا تختلف الآراء والنظريات حول أول من وضع الكتابة، ولذلك نجد العديد من الكتاب والمؤرخين والباحثين يحاولون دراسة ذلك كل حسب إمكانيته ومستنداته التي توفرت لديه، ولعل من أبرزهم أبو العباس أحمد القلقشندي الذي يقول في كتابه<sup>(34)</sup> أن أول من وضع الخطوط سيدنا آدم وقام بكتابتها في طين، ولما أصاب الأرض الغرق أصابت كل قوم كتابتهم، يستند أصحاب هذا الرأي لقوله تعالي ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** ﴾<sup>(35)</sup>، فيعتبرونها وقفية، وهناك من يذهب بقوله بأنه سيدنا إدريس عيه السلام.

فقد يتساءل العديد كيف كان للشعوب أن تتواصل فيما بينها ومن جهة أخرى كيف وصل إلينا هذا التراث الضخم، وفي بادئ الأمر كان جل هؤلاء الكتاب يعتمد علي الروايات الشفوية كأول محاولة لنشر العلم، فيمكننا القول بأنها الوسيلة الأولى لمختلف الشعوب والأمم<sup>(36)</sup>.

---

(32)- محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، تاريخ الخط العربي وآدابه، السعودية، المطبعة التجارية الحديثة، ط1، 1939، ص15.

(33)- نفسه، ص16.

(34)- القلقشندي، صبح الإعشي في صناعة الإنشئ، القاهرة، دارالكتب المصرية، 1966، ج3، ص10.

(35)- الآية 21 من سورة البقرة.

(36)- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1998، ص11.

أما يتعلق بنشأة الخط ومعرفة الحروف بلونها الكثير من الغموض والتضارب في الآراء، أمر لا بد منه، لكن الرأي الأرجح والذي نرتضيه بأن الإنسان شعر بالحاجة الشديدة للكتابة كوسيلة للتعبير عما يزدحم في صدره من أفكار فأحتاج إلى الكتابة لتدوين أفكاره ونمط حياته<sup>(37)</sup>.

ويذكر الكاتب شكيب أرسلان<sup>(38)</sup> في ملحق الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون أن علماء الإفرنج يرون بأن أصل إيجاد الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغليفية هم اليمينيون الذين اخترعوا الكتابة<sup>(39)</sup> وليس الفينيقيين كما يعتقد البعض، لذا فيمكن القول بأن العرب هم من أوجدوا الكتابة في العالم.

ولذا يمكن القول بأن دراسة الخط العربي تنحدر من أصل واحد وهو الخط النبطي المتأخر وقد أثبتت الدراسات الحديثة المبنية على الأدلة المادية والمتمثلة في اكتشافات عدد من الكتابات العربية القديمة في جهات مختلفة من شمال البلاد العرب، مثل كتابة أم الجمال الأولى إلى أم الجمال الثانية، والتي كتبت علي الحجر، بأن أصل الخط العربي مشتق من الخط النبطي .

فالكتابة في اللغة الجمع فيقال تكتبت القوم اذ اجتمعوا ومنه قيل لجماعة الخيل كتيبة أي عند اجتماعها، وسمي الخط كتابة لجمع الحروف ببعضها<sup>(40)</sup>.

---

(37)- يحيى وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص18.

(38)- شكيب أرسلان هو شكيب بن حمود بن حسين بن يونس بن فخر الدين بن حيدر بن سليمان أرسلان ولد ليلة الإثنين الموافقة لـ 1رمضان من سنة 1286هـ من قرية الشيويفات التي تبعد عن بيروت بعشر أميال، عرف بالتدين ومحافظته للصلاة وحرصه في طلب العلم، ولقب بالأمر نظرًا لغزارة إنتاجه الأدبي والشعري تفي سنة 1366هـ/1946م، لمزيد من التفصيل أنظر الموسوعة العربية العلمية ج5 ص122.

(39)- الأنباط: هم قوم عرب يسكنون منطقة جنوب الشام وشمال الحجاز، عاصمتهم البتراء التي تقع حاليًا في الأردن ويقول ياقوت الحموي في هذا السياق: "...وأما النبطي من لم يكن راعيا أو جنديا من ساكني الأرض، لمزيد من التفصيل أنظر احسان عباس، تاريخ دولة الأنباط، عمان، دار الشروق، ط1، 1987.

40 لمزيد من التفصيل أنظر: ابن منظور، لسان العرب، القاهرة، المجلد5، دار المعارف، د ت، ص316.

كانت الكتابة قبل الإسلام منتشرة في مكة كونها مركزا تجاريا وحضاريا، فالمتاجرة تحتاج المكاتبه للحافظ علي الحقوق، كما استخدمت الكتابة في المعاهدات والمواثيق والأحلاف وكتابة الصكوك والرسائل وسند ملكية الرقيق<sup>(41)</sup> أو بما يعرف بمكاتبه الرقيق<sup>(42)</sup>.

فلم تعرف الكتابة عند العرب تطورها إلا بدعوة الإسلام، ولعل من أبرز ما قام به الرسول عيه الصلاة والسلام في مجال الكتابة عقب غزوة بدر<sup>(43)</sup>، حيث أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإطلاق سراح أسري معركة بدر مقابل تعليم عشرة من المسلمين لكل أسير، فزاد الإهتمام بالكتابة .

فقام الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بتشجيع المسلمين علي الكتابة، فروى عن الترميذي<sup>(44)</sup> عن أبي هريرة<sup>(45)</sup>: قال رجل من الأنصار يجلس إلي رسول الله (صلي الله عليه وسلم) فسمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا بذلك إلي رسول الله فقال " استعن بييمينك"، ويقصد الرسول عليه الصلاة والسلام بالكتابة.

---

(41) -الرقيق: مفرد رقيق بالكسر وتعني الملك والعبودية قال أبو العباس سمي العبيد رقيقا لأنهم يرقون لملكهم ويدلون ويخضعون لمزيد من التفصيل أنظر الصحاح للجوهري الجزء الرابع باب القاف صفحة رقم 437.

(42) - يحي وهيب الجبوري، الخط والكتابة في الحضارة العربية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، ص40.

(43) -غزوة بدر: وقعت في 17 من رمضان الموافق للسنة الثانية للهجرة بين المسلمين بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام وقريش بقيادة عمرو بن هشام المعروف بأبي جهل، عند أبار بدر التي انتهت بانتصار المسلمين، ولمزيد من التفصيل أنظر: الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي لدكتور راغب السرجاني .

(44) - الترميذي: هو أبو عيسى محمد بن مروة بن الضحاك السلمي الترميذي، ولد بترمذ سنة 209هـ في بلاد ما وراء النهر كما لقب بالإمام وتوفي في مسقط رأسه سنة 279هـ من أهم مؤلفاته الجامع للسنن الترميذي.

(45) -أبو هريرة: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدوسي ولد سنة 599م/19ق. هـ لقب بحافظ الإسلام، توفي بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع سنة 57هـ، لمزيد من التفصيل أنظر الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي لدكتور راغب السرجاني .

كما تعد موقعة اليمامة <sup>(46)</sup> المنعرج الذي زاد من حرص المسلمين على الكتابة التي استشهد فيها أشهر القراء وحفاظ كتاب الله، فأجبر أبي بكر الصديق لجمع القرآن الكريم من صدور حفاظ كتاب الله وكل من العصب والقضم والرقاق واللخاف والأكتاف والأضلاع فتعتبر من المواد الأولى التي كتب بها القرآن الكريم <sup>(47)</sup>، أما إذا قمنا بالبحث عن المواد التي استخدمت في الكتابة قبل ظهورها فنجد أنها قد نقشت على الحجارة والصخور .

هذا بالإضافة لمختلف أنواع جلود البقر والإبل والغنم والغزلان، فتدبغ وترقق لتصبح سهلة الاستعمال وقد ورد ذلك في قوله تعالى ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُّسْتَوٍرٍ فِيهِ رُقُقٌ مُّنْشُورٌ﴾ <sup>(48)</sup> ومن أنواع الجلود أيضا الأديم ويقصد به الجلد الحمر أو المدبوغ، أما القضم فهو الجلد الأبيض.

كما استخدم الورق في الكتابة والتدوين، مما ساعد بدوره في تطور صناعة الكتاب في العالم الإسلامي، فتعتبر الصين مهد صناعته منذ القرن الأول ميلادي، مستخدمين في ذلك سيقان نبات الخيزران الجوفة والخرق البالية، وقد نقله المسلمون عند استيلائهم على سمرقند 133هـ، <sup>(49)</sup> كما استعمل الكتان والحرير في فترات متأخرة من الحضارة الإسلامية.

أما أدوات الكتاب فقد عرف العرب أنواعا عديدة من الأقلام فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قلم السعف، قلم العاج وقلم القصب الأكثر شيوعا واستعمالا وهذا لسهولة بريه والحصول عليه، أما المداد فتصنع من الدخان و العفص وستكم عنها بالتفصيل لاحقا.

فبعد تطرقنا لوسائل التدوين ، لابد لنا من دراسة أهم الخطوط العربية التي عرفها بلاد المغرب الإسلامي التي نحن بصدد دراستها لما لها من علاقة، هذا بإعتباره العنصر الهام، لذا لا بد من التطرق له.

---

46- معركة اليمامة: المعروفة بموقعة عقرباء في السنة الحادية عشر للهجرة في خلافة أبي بكر الصديق وتعتبر احدي حروب الردة الذي خاضها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد ضد جيوش مسيلمة الكذاب الذي ادعي النبوة و أن النبي أشركه في النبوة، التي انتهت بانتصار جيوش المسلمين.

47) عبد العزيز بن محمد المسفر، المرجع السابق، ص25.

48)- الآيات 1-3 من سورة الطور.

49)- عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص26.

ولقد ارتبط الخط بفن الكتاب وكان الخطاط المغربي يستعمل بعض الأدوات لتدوينه هذا الموروث، فتعدد آلات الكتابة والتي تشملها الدواة، والتي تختلف بدورها من منطقة إلى أخرى ففي الغالب تكون كالتالي:

- 1 - المزبر، القلم
- 2 - المقلمة: وهي المكان الذي يوضع فيه الأقلام.
- 3 - المدية: وهي السكين.
- 4 - المقط: يستعمل كي لا يتشظى القلم.
- 5 - المحبرة.
- 6 - المواق: وهو ما تلاق به الدواة أي تحريك به اللبقة (قطعة من الحرير).
- 7 - المرملة.
- 8 - المنشاة.
- 9 - المنفذ: وهي آلة تشبه المخرز.
- 10 - المزملة: وهي خشبتان تشد أوساطهما بحديدة تكون مع الصياقلة والأبارين.
- 11 - المفرشة: تفرش تحت الأقلام.
- 12 - المسحة، وتسمى الدفتر ليمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة وهذا بغية عدم تراكم الحبر على رأس القلم.
- 13 - المسقاة: وهي آلة تتخذ لصب الماء في المحبرة.
- 14 - المسطرة: للتسطير.
- 15 - المصقلة: لصقل الرمل.
- 16 - المهرق: وهو القرطاس الذي يكتب فيه.
- 17 - المسن: آلة تتخذ لإحداد السكين.

وقد أخذت هذا التصنيف للدواة من كتاب "صبح الأعشى في كتابة الإنشاء" لـ أبو العباس القلقشندي<sup>(69)</sup>، أما فيما يخص الدواة المستعملة ببلاد المغرب الإسلامي ستكلم عنها بالتفصيل في الفصل الثاني. (اللوحة رقم 5-)

(69) - القلقشندي، نفسه، ج2.



#### 4- أهم الخطوط العربية:

يقول ابن خلدون<sup>(50)</sup> عن الكتابة وفن الخط العربي بأنها "رسوم وأشكال حرفية تدل علي الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس".

فالخط<sup>(51)</sup> عنصر هام في الكتابة العربية والخط يدل في الأصل على الخط المستقيم، يقول القلقشندي: الخط سمط<sup>(52)</sup> الحكمة وبه تفصل شذورها<sup>(53)</sup> وينتظم منشورها، والخط الروح له جسدانية في سائر الأعمال إلى ما جري هذا المجري<sup>(54)</sup>، هذا لأهمية الخط البالغة. فمن أشهر الخطوط التي عرفتها الدولة الإسلامية هي:

أولاً: الخط الكوفي، الذي عرف بهذا الإسم نسبة لمدينة الكوفة<sup>(55)</sup>، يقول ابن خلدون في هذا السياق<sup>(56)</sup>: "وحالفت أوضاع الخط ببغداد أوضاعه بالكوفة في الميل إلى جادة الرسوم وجمال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في الأمصار إلا أن رفع رايتها بغداد".

كان الخط الكوفي بسيطاً في مبدأ أمره ليتطور بعدها لتعرف خطوط آخر نذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر المورق و المزهر و الهندسي التريبيعي<sup>(57)</sup>.

---

50- ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ج1، ص420.

51- الخط: خط يخط خطأ واستعمل لفظ الخط للدروب فهو التخطيط والاستقامة لمزيد من التفصيل أنظر: ابن سيده، المخصص، بيروت، دار الكتب العلمية، 2005، ط1، الصفر الثالث عشر، ص5.

52- الخط السمط: الخيط المنتظم مادام به الخرز لمزيد من التفصيل أنظر ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ج24، ص93.

53- شذور: قطع الذهب التي تلتقط من غير إذابة الحجارة، لمزيد من التفصيل أنظر ابن منظور لسان العرب، ج25، ص220.

54- القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص5.

55- أسست الكوفة على يد الصحابي سعد بن ابي وقاص بعد الانتهاء من معركة القادسية، والتي كانت نقطة انطلاق الجيوش الإسلامية الفاتحة المتجهة شرقاً نحو بلاد فارس في السنة الثامنة عشر للهجرة، والتي تعد عاصمة الخلافة الإسلامية في عهد أبي طالب رضي الله عنه، لمزيد من التفصيل أنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، السعودية، بيت الأفكار الدولية، 648.

56- ابن خلدون: نفسه، ج1، ص420.

57- عادل الألوسي، المرجع السابق، ص43.

وبعد استقرار المسلمين ظهرت خطوط كثيرة وأسماء متعددة فعرف ببلاد المغرب بما يعرف بالخط القيرواني والمغربي والأندلسي ، كما نسبت بعض الخطوط إلى أسر حاكمة ، من أبرزها الخط الكوفي المرابطي والخط الوحدي (58) .

وظل الخط الكوفي بكل أشكاله هو الذي يكتب به المصاحف حتى القرن الرابع للهجرة أين ظهر ابن مقلة وابن البواب لتبدأ كتابة المصاحف بالخط النسخ، حيث شهد القرن السادس للهجرة اختفاء الخط الكوفي من كتابة المصاحف ، وان ظل عنصرا هاما في تزيين المساجد وشواهد القبور (59) .

#### 4-أ/ الخط القيرواني :

من أهم الخطوط العربية وأقدمها عهدا وأكثرها انتشارا في بلاد المغرب الإسلامي، فهو مشتق من الخط الكوفي ، كان يسمى هذا الخط- بخط القيروان- نسبة للقيروان (60) (50-55هـ). فقد اكتسبت هذه المدينة أهمية سياسية كبرى عندما انفصل المغرب عن الخلافة العباسية وصارت عاصمة الدولة الأغلبية (61) (184-296هـ) ومركز المغرب العلمي مما أدى إلى تحسن الخط بها ، فلقد تمكن الخطاط من بناء كيان خاص للخط القيرواني يتميز عن غيره ، وأصبح يستعمل في أقطار بلاد المغرب الإسلامي في القرنين الأول والثاني للهجرة، ويتجلى هذا الخط من خلال السكة (62) . (اللوحة رقم-1)

58 صالح بن قربة، أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، عين مليلة، دار الهدى، 2011، ص 263.

59 نفسه، ص 264.

60 القيروان: انشأها عقبة بن نافع الفهري الصحابي الجليل سنة 50هـ وهي من أبرز الأحداث التي شهدتها الفتوحات الإسلامية بالمغرب ولمزيد من التفصيل أنظر: المراكشي محمد ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لندن، مطبعة بريل، 1948، ص 19.

61 الدولة الأغلبية: أسست سنة 184هـ نسبة لـ إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي من مواليد القيروان ، كان حافظا لكتاب الله ومن رجال الدنيا الأفاضل لمزيد من التفصيل أنظر: المراكشي محمد ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لندن، مطبعة بريل، 1948، ج 1، ص 164.

62 لمزيد من التفصيل أنظر: صالح بن قربة المسكوكات المغربية في حضارة المغرب الإسلامي (من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -مخبر المخطوطات، 2006 .

#### 4-ب/ الخط المغربي:

تغذي هذا الخط من ابداعات الخطاط المغربي واندمج معه حتى غدا خطا مغربيا أصيلا في أسلوبه وشكله، وهكذا نشأ أسلوب جديد في الكتابة الذي استمد جذوره من الخط الكوفي القيرواني، فتنفن الخطاط المغربي بإبداعاته له، مما أدى إلى تنوعه ولعل من أبرز أنواعه:

#### 1/المبسوط:

يعتبر هذا الخط المبسوط أكثر الخطوط المغربية راحة للعين بأحرفه اللينة المستقيمة، ويتميز بالوضوح وبسهولة القراءة وهو من أشهر أنواع الخطوط المغربية وقد استعمل منذ القدم في كتابة المصاحف وكتب الأدعية والصلوات، وكان يعتمد عليه في التعليم في الكتاتيب القرآنية<sup>(63)</sup> (اللوحة رقم-2-)

#### 2/الجوهر:

خط دقيق تمتاز حروفه بالصغر والتقارب، يوحي تناسقها بعقد الجوهر انحدر من الخط المبسوط في حدود القرن السادس للهجرة، كما يتميز بلامه الرشيق وشكله المكثف هو خط شديد الخصوصية يشبه النسخي المشرقي في دقة حجم حروفه وليونتها واختزالها<sup>(64)</sup>، (اللوحة رقم-3-)

#### 4/ج الخط الأندلسي:

ظهر هذا الخط في العهد الأموي بحاضرة الأندلس، فيقول ابن خلدون<sup>(65)</sup>: "تميز ملك الأندلس للأمويين فتميزوا بأحوالهم في الحضارة والصنائع وتميز صنف خطهم الأندلسي كما هو معروف لهذا العهد".  
لنتشر الخط الأندلسي في بلاد المغرب الإسلامي، وفي عصر المرابطي والموحدي على وجه الخصوص

(63)- محمد مغراوي-عمر آفا، الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2007، ص57.2

(64)- نفسه، ص58.

(65)- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق على عبد الواحد، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1966، ج2، ص256.

## النسخ المغربي:

يعتبر هذا الخط من أهم الخطوط والتي لا يزال النقاش حوله قائما هل الخط النسخ المغربي مشتق من الخط الكوفي، فلقد توصل الدكتور صالح بن قربة<sup>(66)</sup> ن خلال دراسته العلمية المستخلصة من المسكوكات الفضية والذهبية التي غطت معظم فترات التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب إلى تنفيذ نظرية اشتقاق خط النسخ من الكوفي، وأتت أن الخطين ظهرا في وقت واحد، ولم يتطور أحدهما عن الآخر بل العكس صحيح، ونخلص إلى أن خط النسخ المغربي خط قائم بذاته له خصائصه الفنية والكتابية، وتبلورت شخصيته مع الموحدين.

والغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر مطبوعا بطابع شرقي محض تأثر بكتابة العرب بما فيهم الإمام إدريس الأول وحاشيته، ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا في هته الفترة في القيروان<sup>(67)</sup>. وسمي بالخط النسخي لأن الكتاب كانوا ينسخون المؤلفات به والمقصود بالخط النسخ، الخط المدور أو المقور، المكرر، البديع.. الخ<sup>(68)</sup>. (اللوحة رقم-4-)

ومن أشهر أنواعه خط الثلث وسمي بذلك لأن ته يكتب بقلم رأسه بعرض يساوي ثلث قلم الطومار أي ثماني شعيرات البردون.

فمن أبرز دلالات اهتمام سكان بلاد المغرب الإسلامي بالخط، يتجلى على سبيل المثال لا الحصر ابن الآبار بكتابته للعلامة السلطانية بالخط المغربي<sup>(69)</sup>.

---

(66) تعتبر السكة من أهم الشواهد الأثرية التي لا تزال نمدنا من المعطيات التاريخية، كما تعد أحد المصادر المادية لدراسة الخطوط المغربية لمزيد من التفصيل: أنظر صالح بن قربة، المسكوكات الإسلامية المغربية على عهد الموحدين والحفصيين و المرين، أطروحة دكتراه دولة، جامعة الجزائر، 1996.

(67) - محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، ص23.

(68) - صالح بن قربة، أبحاث ودراسات، ص264.

(69) - ابن الآبار، إعتاب الكتاب، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط1، 1961م، ص11.

# أهمية القلم ودوره الحضاري

- تمهيد .

أولاً: - فضل ذكر القلم .

ثانياً: - صفة القلم أنواعه .

ثالثاً: - مواد صنع الأقلام .

رابعاً: - تقنيات البري والكتابة بالأقلام

## تمهيد

لقي الخط العربي في بلاد المغرب الإسلامي الاهتمام والعناية الكافية لبلورته، فصيغ على طريقة مغربية تميز بها عن غيره من البلاد الإسلامية، التي أجبرت الكاتب المغربي لدفعه نحو كمال الخط من الناحية الجالية، خاصة إذا تعلق الأمر بالمصحف الشريف، فيعتبر القلم الأداة الوحيدة للكتابة فتفنن الكاتب المغربي في صناعته.

## أولا فضل ذكر القلم:

لقد شرف الله عز وجل القلم فيعد أول ما خلقه الله تعالى ، فبدا به كلامه المنزل على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم بغار حراء<sup>1</sup>، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ **إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ\* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ\* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾<sup>2</sup> ، فوصف نفسه تعالى بأنه علم بالقلم و كما وصف نفسه بالكرم، وأقسم به في قوله تعالى: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾<sup>3</sup> ، كما ذكر القلم في قوله تعالى: ﴿ **إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ** ﴾ فيقول المفسرون<sup>4</sup> أنهم كانوا يتشاجرون في كفالتها فضربوا عليها بالقداح، فخرج قدح زكريا، وجاءت لها كانت عيدانا مكتوبا عليهم أسماءهم . وقيل في اشتاق تسميته قلما لأنه قلم أي قطع منه ، و منه قلامة الظفر للذي يقطع منه ، وقيل اشتقاقه من القلام : و هو شجر رخو فلما ضارعه بالضعف سُمِّيَ به، و قيل : لا يُسَمَّى قلما حتى يُرى ، و ألا فهو قصبة<sup>5</sup>، لذا تعد صناعة القلم من أفضل الصنائع التي عرفتها الحضارة الإسلامية.

<sup>1</sup> - غار حراء: هو عبارة عن كهف يقع في جبل يبعد ثلاثة أميال من مكة المكرمة كان النبي عليه الصلاة والسلام يختلي به قبل نزول الوحي لمزيد من التفصيل أنظر: أبو جعفر بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، عمان، بيت الأفكار الدولية، ص308، وما يليها.

<sup>2</sup> - الآيات من 3 إلى 5 من سورة العلق.

<sup>3</sup> الآية 1 من سورة القلم .

<sup>4</sup> لمزيد من التفصيل أنظر: أبو جعفر ، جامع البيان في تأويل القرآن، الرياض، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص142.

<sup>5</sup> محمد بن حسن الطيبي، تقديم صلاح الدين المنجد، جامع محاسن كتابة الكتاب، بيروت، دار الكتاب الجديدة، 1962، ص14.

وعن الوليد بن عباد بن الصامت<sup>6</sup> رضي الله عنه قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: يا رب ما أكتب؟ قال: أكتب القدر وما هو كائن إلي يوم القيامة<sup>7</sup>.  
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه "إن أول ما خلق الله القلم والحوت، فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: أكتب كل شيء كائن إلى يوم القيامة" ثم قرأ "ان والقلم" رواه

الطبراني ووقف ابن جرير على ابن عباس. مما يجعل القلم أشرف آلات الكتابة و أعلاها رتبة، إذ هو المباشر للكتابة دون غيره و غيره من آلات الكتابة كالأعوان<sup>8</sup>.

وقال المدائني: وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قلم قلما يكتب به علما أعطاه الله شجرة في الجنة، خير من الدنيا وما فيها"<sup>9</sup>

فتعدت أقوال الحكماء والبلغاء فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

قول ابن المعتز<sup>10</sup> إذ يقول: القلم مجهز لجيوش الكلام، تخدمه الإرادة، ولا يمل من الاستزاده، كأنه يقبل بساط سلطان، أو يفتح نور بستان<sup>11</sup>.

وقال أيضا في القلم بأنه يخدم الإرادة و لا يمل الاستزادة، يسكت قائما و ينطق سائرا، في أرض بياضها مظلم، و سوادها مضيء<sup>12</sup>.

ومن كلام أبي حفص بن برد الأندلسي: ما أعجب شأن القلم يشرب ظلمة، و يلفظ نورا، قد يكون قلم الكاتب، قد أمضى من شبة المحارب، القلم سهم ينفذ المقاتل، وشفرة تطيح بها المفاصل<sup>13</sup>.

<sup>6</sup> الوليد بن عباد بن الصامت: هو الوليد بن عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرجي الأنصاري. روي حوالي مائة وواحد وثمانون حديث عن أبيه.

<sup>7</sup> القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص434.

<sup>8</sup> الحافظ بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح البخاري، السعودية، الريان، دت، ج6، ص110.

<sup>9</sup> نفسه، ص435.

<sup>10</sup> ابن المعتز: عبد الله بن حمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي أبو العباس ( 247-296هـ) ولي الخلافة يوما و ليلة ثم قتله غلمان المقتدر. شاعر كبير له ديوان و من مصنفاته: البديع، فصول التماثيل، الآداب، طبقات الشعراء وغيرها. لمزيد من التفصيل أنظر: الأغاني ط دار الكتب، ج10، ص374 وابن خلكان، ج1، ص258.

<sup>11</sup> -شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002، المجلد الرابع، ج6، ص19.

<sup>12</sup> العقد الفريد، ج2، ص76.

<sup>13</sup> القلقشندي، نفسه، ج2، ص436.



و من أكثر الشعراء القول في وصف القلم، قول أبي تمام الطائي<sup>14</sup>: (من البحر الطويل)  
 لك القلم الأعلى الذي بشباهه تصاب من الأمر الكلى و المفاصل  
 لعاب الأفاعي القاتلات لعبه و أرى الجني أشتارته أيد عواسل  
 له ريقة طل و لكن وقعها بآثاره في الشرق و الغرب و ابل  
 فصيح إذا استنطقته و هو راكب و أعجم إن خاطبته و هو راجل  
 إذا ما امتطى الخمس اللطاف و أفرغت عليه شعاب الفكر و هي حوافل  
 أطاعته أطراف القنا و تقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل  
 إذا استغزر الذهن الجلي و أقبلت أعاليه في القرطاس و هي أسافل  
 و قد رفدته الخنصران و سددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل  
 رأيت جليلا شأنه و هو مرهف ضئى و سمينا خطبه و هو ناحل<sup>15</sup>  
 و قول أبو الفتوح البستي<sup>16</sup>:  
 إذا أقسم الأبطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد و الكرم  
 كفى قلم الكتاب عزا و رفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم<sup>17</sup>

و في اشتقاق تسمية القلم و قد اختلف في ذلك، فقيل: سمي قلما لاستقامته، و قيل: هو مأخوذ من القلام: و هو شجر رخو فلما ضارعه القلم في الضعف سمي قلما، و قيل: سمي قلما لقلم رأسه، فقد قيل إنه لا تطلق تسمية القلم حتى يُبرى<sup>18</sup>، وإلا فهو قصبية. كما لا يسمى الرمح رمحا إلا إذا كان عليه سنان و إلا فهو قناة، و منه قلامة الظفر<sup>19</sup>، و الى ذلك يشير أبو الطيب الأزدي بقوله:  
 قلم قلم أظافر العدا \* و هو كالإصبع مقصوص الظفر  
 أشبه الحية حتى إنه \* كلما عر في الأيدي قصر

<sup>14</sup> أبي تمام الطائي: أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مري بن سعد بن طئي و ايه نسبت القبلة، كان أوحد عصره في ديباجة لفظه و فصاحة شعره و حسن أسلوبه و ن أبرز مؤلفاته فحول الشعراء و لمزيد من التفصيل أنظر: ابن الآبار، الحلة السراء في شعر الأمراء، عمان، دار الفكر، ج1، ص64.

<sup>15</sup> -شهاب الدين النويري، المصدر السابق، م4، ج6، صص 22-23.

<sup>16</sup> أبو الفتوح البستي: علي بن حمد البستي شاعر عصره و كاتبه، ولد في بست قرب سجستان و إليها نسبه، كان من كتاب الدولة السامانية في خراسان أيام سبكتكين و ابنه السلطان محمود، ثم أخرجته هذا الى ما وراء النهر فمات غربيا في بلدة اوزجند ببخارى سنة 400هـ له ديوان شعر جمعه المرحوم د.محمد مرسى الخولي. انظر ترجمته و أخباره في مقدمة ديوانه و في وفيات الأعيان 356/1

<sup>17</sup> -القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص477.

<sup>18</sup> هلال ناجي، شرح المنظومة المستطابة للزفراوي، ص195.

<sup>19</sup> القلقشندي، نفسه، ج2، ص477.

وقيل لأعرابي: ما القلم؟ ففكر ساعة وقلب يده، ثم قال: لا أدري، فقيل له: توهمه. قال هو عود قلم من جوانبه، كتقليم الظفر، فسمي قلما<sup>20</sup>.

### ثانيا: صفة القلم:

قال ابن مقلة<sup>21</sup>: خير الأقلام ما كان طوله من ستة عشر إصبعا<sup>22</sup> إلى اثني عشر، و امتلاؤه ما بين غلظ السبابة إلى الخنصر. وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها. وقال في موضع آخر: أحسن قُدود القلم أن لا يُتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته و يشهد له قول الشاعر:

فتى لو حوى الدنيا لأصبح عاريا \* من المال معتاضا ثيابا من الشكر  
له ترجمان أحرص اللفظ صامت \* على قاب شبر بل يزيد على الشبر<sup>23</sup>  
وقال الشيخ عماد الدين الشيرازي: أحمد الأقلام ما توسطت حالاته في الطول و القصر، والغلظ و الدقة، فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلا إلى ما بين الثلث، و الغليظ المفرط لا تحمله الأنامل<sup>24</sup>.

ويقول المعز بن باديس<sup>25</sup> في صفة انتخاب الأقلام الجيدة واختيارها:  
وتجعل في موضع القطعة من وسطه ورأسه في مقدار اصبع الإبهام و سنيه متشاكلين في الدقة والرقعة و شقه يكون متوسطا إلى ثلثي رأس القلم، فهو أخف وأضعف، وإذا قصر فهو أغلظ وأقوى.

<sup>20</sup> - نفسه، ص 440.

<sup>21</sup> - ابن مقلة: هو الوزير أبو علي الصدر محمد بن مقلة ولد في بغداد سنة 272هـ وكان أبو عبد الله كنيته ابن مقلة ومقلة لقب أبيه علي، كان وزير الخليفة المقتدر بالله 316هـ ثم نفي، ليعود بعدها وزيرا للقاهر بالله سنة 320هـ، حظي بمكانة رفيعة وتمكن من وضع قواعد في فن رسم الخط، ومن تلا ميذه: بن أسد الغافقي، ومحمد بن علي السمسماي .

لمزيد من التفصيل أنظر: ابن خليكان، وفيات الأعيان، 790.

<sup>22</sup> - يقصد به عرض الإصبع ويتراوح ما بين 1 إلى 2 سم.

<sup>23</sup> - الفلقشندي، نفسه، ج 2، ص 444.

<sup>24</sup> - الفلقشندي، نفسه، ج 2، ص 445.

<sup>25</sup> المعز بن باديس الصنهاجي: المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، صاحب أفريقية وما والاها من بلاد المغرب، وكان ملكا جليلا عالي الهمة، محبا لأهل العلم كثير العطاء، ومدحه الشعراء و انتجعه الأدباء. وكانت ولادته بالمنصورة، ويقال لها صبرة، من أعمال أفريقية، يوم الخميس لخمس مضي من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، و ملك بعد أبيه باديس في التاريخ المذكور في ترجمته، و بويع بالمحمدية من أعمال إفريقية أيضا يوم السبت لثلاث مضي من ذي الحجة سنة ست و أربعمائة. وتوفي رابع شعبان سنة أربع وخمسين وأربعمائة بالقيروان، من أصابه و هو ضعيف الكبد، ولم تطل مدة أحد من أهل بيته في الولاية كمدته، وورثاه أبو علي الحسن بن رشيق — المقدم ذكره — بأبيات على روي الكاف، أضربت عن ذكرها خوف الإطالة

والحمود في الطويل منها ما كان شحم ول يكن محرفا لئلا يجتمع عليه القط الغليظ من جهة التبطين والتحريف<sup>26</sup>.

ويقول الصولي:

حدثني أبو الحسين محمد بن أحمد النيسابوري قال سمعت الحسين بن يحيى بن نصر الجرجاني يقول قال ابراهيم بن العباس الصولي لغلام كان يكتب بين يديه ليكن قلمك صلبا بين الدقة والغلظ ولا تبره عند عقدة (اللوحة رقم 6-). .

ولا تجعلن في أنبويه أنبوبة ولا تتكتب بقلم ملتوي، ولا ذي شق غير مستو، واختر من الأقلام ما يضرب للسمة<sup>27</sup>.

والأقلام إذا كانت مستوية، جاء الخط حفيفا غير مليح، وإذا كانت محرفة جاء الخط ضاويا، فأحسنها وأجمعها لخصال الجودة، المتوسط بين الطول والقصر والرقعة والغلظ، والتحريف والاستواء والمحرّف والمبطن أشبه بخط الورق والدفاتر بالحبر، وأما غيرهما فلا يتحمل ذلك. والجيد من الأنابيب ما كان معتدلا في طوله و جسمه وصلابته، والمختار منهما ما احمر لون و كثر شحمه، وحق هذا القلم إذا كان على هذه الصفة أن يبرى من رأسه و هو الموضع الغليظ من الأنبوب و إذا كان ضيدا ذلك فهو ضعيف، فيجب أن يبرى من أسفله، لأنه أقوى من رأسه، و هو الموضع الرقيق من الأنبوب<sup>28</sup>

و أحمد الأقلام بعد كله، ما أذهن من جانبي وسطه حتى تكون القطعة أعرض قليلا مما قبلها، و طول سينه في مقدار الإبهام، و أفسدها ما زاد على ذلك أو قصر عنه<sup>29</sup>.

<sup>26</sup> - المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوى الألباب، طهران، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ط1، ص27.

<sup>27</sup> - الصولي، نفسه، ص54.

<sup>28</sup> - المعز بن باديس، نفسه، ص27.

<sup>29</sup> - نفسه، ص28.

<sup>29</sup> عبد الله بن المقفع: من أئمة الكتاب ولد في العراق، وعند بروزه وعلو شئنه ولي كتابة الديوان للخليفة المنصور وله عدة مؤلفات ورسائل منها الأدب الصغير - الأدب الكبير اليتيمة.. إلخ قتل في البصرة سنة 142هـ بتهمة الزندقة لمزيد من التفصيل أنظر: الزركلي الأعلام، ج4، ص283-284.

<sup>29</sup> - هلال ناجي، منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة للزفتوى، نفسه، ص197.

وقال عبد الله بن المقفع<sup>30</sup>: القلم من نعمم الله الجليلة، ومواهبه الجزيلة نبتة قضيب مونق لطيف عوده مستقيم عوده صدق الكعب معتدل العمود لم يقس فتتفطر فروعه ولا استلان فتأطر ضلوحه، فهو صلب ليان صاد ريان بين الفعم والأهيف والأصعم والأجوف.

و أما معرفة الأقلام، فالأقلام الجلدة خمسة: وهي قلم الطومار و قلم الرياشي و قلم النصف و قلم الثلثين و قلم الثلث. وهي أخف الأقلام و هو في ثقل الخط على مقدار رتبته، و يقدم بعضها على بعض فالثلثان دون الطومار في الثقل، لأنه مولد منه، والرياشي أثقل من قلم النصف بنصف سدس، ومعنى ذلك هو الزمان. فإن الزمان الذي يكتب فيه صاحب قلم الطومار -زمانه محدودة- يكتبها صاحب قلم النصف في نصفه، و يكتبها صاحب قلم الثلث في ثلثه، فأما الرياشي فزمانه طويل. ( اللوحة رقم-7-).

وأما أشرف هذه الأقلام الخمسة و غيرها دونها مثل خفيف الثلثين، و صغير النصف، و الرياشي المنضم، و غبار الحيلة، و خط المؤامرات، و خط السجلات و خط الجرم<sup>31</sup>.

## 2/ طول الأقلام وغلظها:

قال ابن مقلة: خير الأقلام ما كان طوله من ستة عشر إلى اثني عشر، وامتلاؤه مما بين غلظ السبابة إلى الخنصر. وهذا وصف جامع لسائر أنواع الأقلام على اختلافها و قال في موضوع آخر: أحسن قدود القلم ألا يتجاوز به الشبر بأكثر من جلفته.

و قال عماد الدين الشيرازي: أحمد الأقلام ما توسطت حالته في الطول و القصر، و العُلط و الدقة. فإن الدقيق الضئيل تجتمع عليه الأنامل فيبقى مائلا إلى ما بين الثلث. و الغليظ المفرط لا تحمله الأنامل<sup>32</sup>.

و قال في الحيلة: إذا كانت الصحيفة لينة ينبغي أن يكون القلم لين الأنوب، و في لحمه فضل، و في قشره صلابة، و إن كانت صلبة، كان يابس الأنوب صلبه، ناقص الشحم، لأن حاجته إلى كثرة المداد في الصحيفة الرخوة أكثر من حاجته إليه في الصحيفة الصلبة، فرطوبته و لحمه يحفظان

30- الصولي، نفسه، ص29.

31- نفسه، ص30.

32- الفلقشندی، نفسه، ج2، 474.

عليه غزارة الاستمداد، و يكفي في الصحيفة الصلبة ما وصل إليها بري القلم الصلب الخالي من المداد<sup>33</sup>.

ويقول عماد الدين الشيرازي: أحمد الأقلام ما توسطت حالاته في الطول والقصر والغلظ والدقة.<sup>34</sup>

### 3 أنواع الأقلام:

اختار القدامى ستة أقلام هي محصلة لجميع الأقلام في الخصائص و الصفات. ففي القرن الثالث الهجريّ لما كثر عدد الخطوط ، و تنوعت أشكالها ، و تداخلت الأنواع ، و تشابهت رسوم حروفها ، ظهرت الحاجة إلى تركيز أنواعها و تصفية المتشابه منها ، و الاقتصار على أوضحها و أحملها ، و قد قام بذلك ابن مقلة و استخلص أنواعا ستة هي: الثلث و النسخ ، و التوقيع ، و الريحان ، و المحقق ، و الرقاع .

وجاء ياقوت المستعصي<sup>35</sup> المتوفي سنة (656 هـ) ، فأجدها ، و كانت تستعمل في دواوين الإنشاء. و ذكرها القلقشندی (ت 821 هـ) كالآتي: الطومار — الثلث الثقيل — الثلث الخفيف — التوقيع — الرقاع — الغبار.

أما حاجي خليفة<sup>36</sup> (ت 1067 هـ) ، فقد ذكرها كالآتي: الثلث — النسخ — التعليق — الريحان — المحقق — الرقاع<sup>37</sup>. (اللوحة رقم 8-).

و بانتشار الخط المغربي في بلاد المغرب الإسلامي وسطها وغربها وفي الأندلس؛ حيث حمل هذا الخط ذكرى أعوام الفتوح الإسلامية الأولى وبالتالي ذكرى أيام الانتقال الأولى في الكتابة العربية

<sup>33</sup> إباد خالد طباع، المرجع السابق، ص 96.

<sup>33</sup> -القلقشندي، نفسه، ج 2، ص 445

34- نفسه ، ج 2، ص 446.

<sup>35</sup> - ياقوت المستعصي: هو ياقوت بن عبد الله الرومي ، كاتب؛ أديب من أهل بغداد ، له شعر رقيق ، اشتهر بحسن الخط . من موالى الخليفة المستعصم بالله العباسي ، ويعتبر قبله الخطاطين ، أخذ عنه العديد من الخطاطين الخط ، لمزيد من التفصيل

انظر الزر كلي، الأعلام ، ج 8، ص 131، و ابن خليكان، وفيات الأعيان. ص 975.

<sup>36</sup> - حاجي خليفة : هو مصطفى بن عبد الله كاتب جابي ؛ مؤرخ ، بحاث ، تركي الأصل ، مولده ووفاته في القسطنطينية

، أشهر كتبه "كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، لمزيد من التفصيل انظر الزر كلي، الأعلام ، ج 8، ص 236.

<sup>37</sup> - يوسف ذنون ، العراق، مجلة جامعة الموصل ، العدد 8 ، 1971م، ص 51.

في مسائل مثل ترتيب الأبجدية و النقط على بعض الحروف ( الشكل )، وحافظ حتى العهد الأخير على قسم منها<sup>38</sup> ..

أما الأقلام المغربية الأكثر استعمالاً كل من قلم النسخي وقلم الطومار و قلم الثلث.

(اللوحة رقم-9-)

يقول ابن بصيص في سياقه عن أنواع الأقلام: أي إذا أدركت مللاً في الكتابة وأقسامها فتنقسم إلى أقسام فمن ذلك ما ينقسم إلى أصلين ، الأول :قلم المحقق وهو أول ما يبدأ به ذلك لتحقيق حروفه وهو أن تكون واوه مفتوحة وكذلك تاؤه وميمه ' وحروفه تحققت ، و منه يستخرج قلم الريجاني و النسخ هو الذي تكتب به الأحاديث النبوية — على قائلها أفضل الصلاة و أتم السلام — وكتب الفقه و كتب النحو و كتب اللغة وغيرها.

والأصل الثاني :هو القلم الثلث ،وهو أصل الكتابة المنسوبة ومتى أتقنه الكاتب تقن جميع حروف الكتابة ،ومنه تفرعت ( 180 ) الأقلام ،وفرعه يستخرج منه وهو قلم التوقيعات الذي يكتب به المباشر و التواقيع عن السلطان ومن التوقيعات يستخرج منه فرعه و هو قلم الرقاع وهو الذي تكتب به المراسلات في ديوان الإنشاء وكتاب الشرط<sup>39</sup>.

ويقول أيضاً: " ثم إن الشيخ والدي رحمه الله نظر إلى الأصل الأول وهو قلم المحقق وإلى الأصل الثاني وهو قلم الثلث فجمعهما فامتزجا فسماه الأشعار وهو القلم السابع. و منهم من يسميه المؤنق وسئل رحمه الله متى يستحق الخط أن يوصف بالحسن ؟ فقال: "إذا اعتدلت أقسامه و صحت ألفه ولامه، و أشرق قرطاسه، و لم تختلف أجناسه وضاهى صعوده حدوده و لم تشبه راءه نونه "

فالمحقق هو الذي تحققت حروفه ،و التوقيع الذي تداخلت حروفه ، والتوقيع الذي تداخلت حروفه و تعلقت خلاف المطلق ينظر إلى المحقق ليس هو برطوبة محضة يستدعي ما يستدعيه من التعليق ولا بياسة محضة فيحتاج إلى التحقيق<sup>40</sup>. (اللوحة رقم-10-)

<sup>38</sup> -محمد المكي الخطاط، المرجع السابق، ص117.

<sup>39</sup> هلال ناجي، شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة لابن البواب، شرح ابن البصيص وابن الوحيد، مجلة المورد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، م15، ع1986، ص4، ص269.

<sup>40</sup> -نفسه، ص270.

4/مقاسات الأقلام :

كان الكتاب القدماء يقدرّون قياس عرض الأقلام (أي قطعها) بشعر البرذون ، وأنهم لم يضعوا للقلم الجليل (الجلي) مقاسا لأنه أكبر أنواع الأقلام ، إذ كانوا يكتبون به على أبواب المساجد والمعابد والجدران ، وكان الكاتب به لا يكتب إلا واقفا ، لذلك قالوا : القلم الطوماري عرضه 24 شعرة من شعر البرذون ، و قلم مختصر الطومار عرضه 18 شعرة و بين 24 شعرة أي بين قلم الطومار وقلم الثلثين . و قلم الثلث عرضه 8 شعرات وقلم الثلثين عرضه 16 شعرة و قلم النصف عرضه 12 شعرة، واتفقوا على أن أطول ألفات الكتابة في كل قلم بمقدار ربع عرضه <sup>41</sup> .

ولأن جمال الخط يعتمد على القلم لذلك أطلقوا اسم القلم على الخط ، فقالوا : قلم الثلث ، و قلم النسخ ، و قلم الديواني ، و هكذا . والقلم في اصطلاح الدواوين: قسم من أقسام الديوان، يقال: قلم الكتاب، و قلم المحضرين، و قلم المستخدمين <sup>42</sup> .

ويقول المعز بن باديس الصنهاجي <sup>43</sup> بأن الأقلام المستعملة في التدوين ببلاد المغرب الإسلامي هي الأقلام الجليلية الخمسة والمتمثلة في قلم الطومار ، وقلم الريش، وقلم الثلثين ، وقلم النصف ، وقلم الثلث ، وهو أخفها ، وهي في نقل الخطوط على مقدار ترتيبها و الأكثر استعمالا قلم الثلث .

<sup>41</sup> الكردي، المرجع السابق، ص96.

<sup>42</sup> -بيجي وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص286.

<sup>43</sup> -المعز بن باديس، نفسه، ص96.

ثالثاً: مواد صناعة الأقلام ومستلزماتها:

### 1 مواد الأقلام:

إذا انتقلنا من المواد التي يكتب عليها إلى المواد التي يكتب بها نجد أنها هي الأخرى قد تطورت مع التطور الحضاري للأمم والشعوب، فالأدوات التي كان يكتب بها في العصر الإسلامي هي -بلا شك- أفضل بكثير من تلك التي استخدمت في العصر الجاهلي، حيث كانوا يكتبون بمادة طباشيرية أو فحمية أو رصاصية، وأما القلم وقد يسمى المزبر أو اليراع فقد كتب به العرب في الجاهلية وغيرها تؤكد أن العرب عرفوا القلم واستخدموه في كتاباتهم قبل دخول الإسلام<sup>44</sup>.

فتعددت أنواع الأقلام هذا لأن لكل مادة يكتب عليها، تحتاج لأداة معينة يكتب بها، مما يعني أن كل قلم معدّ لنوع من الكتابة<sup>45</sup>، فضلاً عن الخط. ومن أشهر الأقلام التي شاع استعمالها قديماً:

أ- قلم البوص؛ وهو يصنع من البوص؛ وأحياناً يسمى قلم القصب.

ب- قلم الخشب؛ وهو يصنع من أغصان الأشجار

ج- قلم العظم؛ وكان يصنع من العظام الرفيعة

د- قلم الريش، كان يؤخذ من ريش الطيور، خاصة ريش الذيل أو أطراف الجناح وهذا لصلابتها<sup>46</sup>

غير أن الكتابة بقلم القصب ظل صالحاً للكتابة، هذا رغم استحداث أقلام الحبر وريشة المعدن وغيرها، فالخطاطون مازالوا يخطون بالقصب أجمل خطوطهم و القصب يصلح للكتابة على كل أداة سواء ما كان منهم خشناً غليظاً كالحجارة والخشب والنحاس، أو كان ناعماً لينا كالقرطاس والمهرق والأديم والورق وكانوا يكتبون به على كل شيء حتى النعال وعلى الأكف، ففي صدر الإسلام، روى معمر: أن الزهري ربما كتب الحديث في ظهر نعله مخافة أن يفوته<sup>47</sup>.

ويذكر محمد المنوي: بأن القلم يتخذ من القصب أو من غيره ومن الذهب أو الفضة أو النحاس<sup>48</sup>.

44 - السيد السيد النشار، المرجع السابق، ص13.

45 - يحيى وهيب الجبوري: المرجع السابق، ص284.

46 - عبد الرحمن بن محمد الأنباري، نزهة الألباب في طبقة الأدباء، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1966، ص7.

47 - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب، تقييد العلم، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، 1949، ص107.

48 - أحمد شوقي بنين، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ص13.



**2 السكين:**

يعد السكين أحد أبرز وأهم أداة إذ هي المحدد لوجهة القلم والفاصل في نوعه وتعددت الآراء حول مفهوم السكين فيقول الجاحظ<sup>49</sup>: يقال للسكين مديّة ومديّة ومديّة، من مدّ الأجل، ونصاها أصلها، يقال: انصبت السكين جعلت لها نصاباً، وأقبضتها: جعلت لها قراباً، وأغلفتها: جعلت لها غلافاً. وحكى أبو زيد: والحديدة الزاهية في النصاب سيلان. ويقال: أهددت السكين فأنا أحده إحدادا، و حدّ السكين و نفسه حداً، وأحدّ فهو يُحد، و سكين حاد و حديد أي قاطع<sup>50</sup>، (اللوحة رقم -11) قال ابن الأعرابي<sup>51</sup>: أهددتُ السكين و حددته بمعنى واحد، فإذا أمرت من أحده قلت: أهدده، ومن حدّه حدّه.

و هي مسن الأقاليم يشحذ بها إذا كلّلت و يطلقها إذا وقفت ، و يلماها إذا شعنت. و أحسنها ما عرض صدره، وأرهفت حدّه، و لم يفصل عن القبضه نصابه، قال الكسائي: و من أنث أراد المديّة و أنشد:

فَعِيَتْ فِي السَّامِ غَدَاةٌ قُرٌّ \* بسكين موثقة النصاب

و يقال سكينه بالهاء و هو قليل. و في حديث المبعث أنه لما شقّ الملك بطنه<sup>52</sup> صلى الله عليه وسلم قال: ائتنى بالسكينة و تجمع على سكاكين، سميت مديّة أخذاً من مدى الأجل في القتل على آخره، وسميت سكيناً لأنها تسكن حركة الحيوان بالموت. و نصاب السكين أصلها، و نصاب كل شيء أصله قال الشاعر:

وإن نصابي إن سألت، و أسرتي \* من الناس حي يقتنون المُرْتَمَا

و يقال أنصبت السكين إذا جعلت لها نصاباً، كما يقال أقبضتها إذا جعلت لها مقبضاً، و أقربتها إذا جعلت لها قراباً، و أغلفها إذا جعلت لها غلافاً، و الحديدة الزاهية في النصاب سيلان. و يقال أهددت

49 - الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري (159-255 هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها وترك كتباً كثيرة يصعب حصرها، وإن كان البيان والتبيين وكتاب الحيوان والبخلاء أشهر هذه الكتب، كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة لمزيد من التفصيل أنظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي، القاهرة، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993، ج1، ص64. 50 القلقشندي، نفسه، ج2، ص454.

51 ابن الأعرابي: ابن الأعرابي هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي، وهو إمام لغة، له مصنفات أدبية كثيرة. مات بسامراء في 13 شعبان 231 هـ لمزيد من التفصيل أنظر ابن خليكان، وفيات الأعيان، ص671.

52 - لمزيد من التفصيل أنظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص124.

السكين فأنا أحده إحداد و حده السكين نفسه صار حادا، فإذا أمرت من أحده قلت أحده، ومن حده قلت حدة<sup>53</sup>.

قال بعض الكتاب في صفت السكين: هي مسن الأقالام، و بها تستحد إذا كلت<sup>54</sup>، و تطلق بها إذا وقفت، وتلمها إذا تشعث. فتجب المبالغة في سقيها وإحدادها ليتمكن من البري، فيصفو جوهر القلم، ولا تشطى قطته. و ينبغي أن لا يستعملها في غير البراية لئلا تكأ و تفسد. و أحدد سكينك ولا تستعملها لغير ذلك. قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله: واستحد السكين حداً، و لتكن ماضية جدًا، فأما إذا كانت كالة جاء الخط رديئا مضطربا<sup>55</sup>.

وقال عماد الدين بن العفيف: فساد البراية من بلادة السكين. قال محمد بن عمر المدائني: ينبغي أن تكون لطيفة القدّ، معتدلة الحدّ، فقد كرة المبالغة في سقيها، لتمكن الباري من بريها، و لا عيب في حملها في الكُمّ و الحُفّ، فقد روى المدائني عن الأعمش عن إبراهيم أنه قال: اتخاذا الرجل السكين في خفه من المروءة. قالوا: و أحسنها ما عرض صدره، و أرهف حده، و لم يفضل عن القبضه نصابه، و استوى من غير اعوجاج. قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: و رأيت والدي و جماعة من الكتّاب يستحسنون العقابية: وهي التي صدرها أعرض من أسفلها. و وصف بعضهم سكيناً، فقال: و سكين عتيقة الحديد، وثيقة الشعيرة، محكمة النّصاب، جامعة الأسباب، أحد من البين، و أحسن من اجتماع محبين و أمضى من الحسام، في بري الأقالام. و الله القائل في وصفها: أنا عن شئت عُدّة لعدو \* حين يخشى على النفوس الحمام أنا في السلم خادم لدواة \* و بجدي تقوم الأقالام

و قال آخر، و قد أظن في التفسير و التعليم، إذا ابتدأت بقطع القلم فليكن قطعك بإزاء نبات الأنبوب، وهو الثقب الصغير الذي في أسفل الأنبوب، فإنه قلما يفسد يري القلم على ذلك . و إن أردت نحت القلم فلا تبتدئ بالحرفين ولا بالوسط و لا بالشحم، فأنتك إذا أخذت السكين الى نحت جانب طال عليك استوائهما في التعديل و احتجت إلى تعطيله. و ليكن ابتداءك بوسط الحرفين لكي تأمن النواة ، و يصير أسفله حذاء و يكون السن الأيمن أملا من السن الأيسر، و ذلك حق الكتابة

<sup>53</sup> الفلقشندی، نفسه، ج2 نص456.

<sup>54</sup> كلت: نقصت و شحت .

<sup>55</sup> الصولي، أدب الكتاب، مصر، المطبعة السلفية، 1921، ص54.

و يجب أن تثبت في وقت شق القلم، و لا تعجل فتترل عن الصواب لأن جودة القلم تكون بتعديل شقه على ما هو موصوف به، و كذلك قطعه، و حق السن الأيمن الامتلاء و السن الأيسر دون ذلك.

فإذا عملت على ما وصفت لك فاقشط قشطا متوسطا لا بالطويل ولا بالقصير، و يكون إلى الطويل أميل، و ذلك اختيار جميع الكتاب، فإذا كان ذلك فهو حق البري<sup>56</sup> (اللوحة-12-).

### 3 المقط:

(بكسر الميم) كما ضبطه الجوهري في الصحاح مِقْطَةٌ بالتأنيث، يقول الصولي: ينبغي أن يكون المِقْطُ صُلْبًا فتمضى القِطَّةُ مستوية لا مَشْطِيَّةً. قال الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله: إذا قططت فلا تقط ألا على مِقْطٍ أملس صلب غير مُثَلَّم ولا خشن لئلا يتشظى القلم<sup>57</sup>.

و قال الشيخ عماد الدين بن العفيف: و يتعين إن يكون من عود صلب كالآبتوس والعاج، و يكون مسطح الوجه الذي يقطُّ عليه ولا يكون مستديرا: لأنه إذا كان مستديرا تشظى القلم، و ربما تملك القِطَّةُ فتأتي الإدارات و التشعيرات غير جيدة<sup>58</sup>.

و ليكن قटक إذا اقططت على الاستواء، و ينبغي أن تبادر بقط قلمك مادام سنه ملتصقا قبل انفتاحه، فإن أجود لخطه و هو مفتوح، لأنك إن قططت و قد انفتح قليلا لم تأمن تشعته و فساده، فإن تفاحش انفتاحه، و قططته بعد ذلك فلا بد من فساده. و بهذا السبب يعرض الفساد لأقلام العامة ممن لا علق له بيري القلم، لأنهم لا يشعرون به، و ربما قطعه بعد أن يكتب به، و قبل جفافه و تلك حال من لا يبالي بمهندسة الخط، و إقامة صناعة الأقلام<sup>59</sup>، فيتجلى إتقان الكاتب لعمله من خلال إقامته لصناعة قلمه، الذي يستوي بدوره الخط.

واعلم، أنه لا يتهيأ لصاحب الحرف إدارة يده كإدارة صاحب المستوي فيجب أن تكون القِطَّةُ مستوية لنهاية قوية، من الشَّقِّ الأيمن تخالها محررفة.

و يجب أن يكون شق القلم في وسط سنه و يكون مقدار القِطَّةِ إلى عند المقتحمة المستممة، فيخلها إلى مقدار عدة الخنصر في رأسه، لأنه إذا كان الشحم كثيرا جاء الخط غليظا، و يكون بري القلم الذي تكتب به الرياشي خاصة، و هو أغلظ الأقلام، و يكون بريه قليل الشحم في رأسه لأنه إذا

<sup>56</sup> - المعز بن باديس، نفسه، ص30.

<sup>57</sup> الصولي: نفسه، ص55.

<sup>58</sup> الفلقشندی، نفسه، ج2، ص457.

<sup>59</sup> - المعز بن باديس، نفسه، ص29.

كان الشحم في أوله إلى آخره على استواء لم يجز القلم، ولم يكن له خطٌ حسن و يفسد. وإذا كان رأسه أكثر شحماً لم يكتب. فينبغي أن تعمل بحسب ما ذكر<sup>60</sup>، وان كان غير ذلك فيؤدي بدوره لردائه و استعمال هذا الخط في تدوين المخطوطات التي توجد بخزائن و زوايا بلاد المغرب الإسلامي

و قط المستوي من الأقلام أقوى و أصغر و أبقي، و هو بمذهب الكتاب أشكل و أحسن، و قطُ المحرّف من الأقلام أضعف من غيره و أحلى، و هو بخط الفرق أشبه و المتوسط بينهما يجمع ما فيهما، و ما في رأسه طول من الأقلام فهو يعين اليد الخفيفة على سرعة الكتابة، و ما قصر منها كان على ضدّ ذلك.

و إذا طال سن القلم كان خطّه أحف و أضعف، و إذا قصر كان خطه أقوى و أثقل. فأما الذي يختار و يقدم، فالمتوسط في الحالات الثلاثة، و هو المعتدل بين الطول و القصر و النحافة و التحريف و التدوير<sup>61</sup>.

#### رابعاً:

#### 1 بقنيات البري:

بقول القلقشندي في اشتقاق و أصل بري القلم : يقال برت القلم ابريه بر يا و براية غير مهموز و هو قلم مبري و أنا باري للقلم بغير همزة أيضاً<sup>62</sup>.

و يقول ابن قتيبة: فإذا أمرت من البري قلت إبري قلمك بر يا جيداً و براية جيدة و يقول

الشاعر :

يا باري القوس بر يا ليس يحكمه \* لا تفسد القوس أعط القوس بارها

و أصل البري الترقيق و الإرهاف و منه قيل برت العلة جسم فلان إذا أخلته، لأن باري القلم يرق موضع سنه عن سائره<sup>63</sup>.

و يقال أيضاً بروت القلم و العود برواً و الباء أفصح ، و يقال لما سقط منه حالة البري بُراية و الفعالة اسم لكل فضلة تفضل من الشيء .

<sup>60</sup> -نفسه، ص30.

<sup>61</sup> -المعز بن باديس، نفسه، ص30.

<sup>62</sup> القلقشندي، نفسه، ج2، ص447

<sup>63</sup> ابن قتيبة، رسالة في الخط و القلم، مجلة المجمع العلمي العراقي، جامعة بغداد ج4، م1988، ص39، ص14.

وفي الحثي على معرفة البراية يقول الحسن بن وهب: يحتاج الكاتب إلى خلال منها جودة بري القلم وإطالة جلفته و تحريف قطته (...).

ويقول إبراهيم بن محمد الشيباني: يجب أن يكون البري من جهة نبات القصبة يعني من أعلاها إذا كانت قائمة على أصلها فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس<sup>64</sup>.  
ويقول محمد بن حسن الطيبي<sup>65</sup>:

أما بري القلم فأركانها أربعة: فتح ونحت وشق وقط.

وقال أبو القاسم: إذا أخذ القلم لبريه فلا يخلوا من استقامة في البنية أو اعوجاج في الحلقة، فإذا كان مستويا فالبرية من رأسه، وهي حيث استدق وان كان معوجا ودعت الضرورة إليه فالبرية من أسفله لأن أسفله أقل التواء من أعلاه<sup>66</sup>.

وإذا أردت القطّ فضع السكين على الأنبوب مستويا، و قد تكون يدك لا يمينا و لا شمالا، ولا معوجة ولا منقلبة، لكيما تعمد قليلا الى الانحراف باليد اليمنى التي تقبض على السكين لكي تقطع و تمدّ السكين على الانبساط لا قائمة الحرف فينثلم القلم، و يتشعب و وضعها متوسطة لتسلم حافتي القلم ثم تحت قليلا قليلا على مهل كنحت الخلال ( اللوحة رقم-13).

و ليكن شحم القلم متوسطا لا ثخينيا و لا رقيقا فإنه أوطأ للقلم، فإنه إن كان شحمه كثيرا كان القلم بطيئا وإن كان رقيقا كان جاريا ضعيفا<sup>67</sup>.

ويقول الصولي: واحد سكينك ولا تستعملها لغير قلمك وتعهد به بالإصلاح يصلح، وليكن مقطوعك صلبا ليمضي الخط مستويا لا مستطيلا، وأبر قلمك بين التحريف و الاستواء، وإذا كتبت الدقيق فأمل قلمك الى اقامة الحروف لإشباع الخط وإذا جللت فيالي التحريف، واعل أن تبطين القلم شؤم و تحريفه حرف، وهما دمار الخط<sup>68</sup>.

فمن خلال ما سبق ومن خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها يمكننا القول أن أسس البراية لا زالت تستعمل ويأخذ بها، والتي استمرت خلال فترة دراستنا.

<sup>64</sup> الفلقشندي، نفسه، ج2، ص448.

<sup>65</sup> -محمد بن محمد الطيبي، جامع محاسن كتابة الكتاب، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1962، ص15.

<sup>66</sup> نفسه، ص448.

<sup>67</sup> -نفسه، ص29.

<sup>68</sup> - الصولي، نفسه، ص54.

2 إمساك القلم:

يقول السنجاري<sup>69</sup>:

واجعل الإبهام والسبابة والإصبع الويسطي لذا الكتابة  
فاجعل الوسطي لها كالفرس تجري بذي البرعان مثل النفس  
وبعد الثلاثة عن فتحها قدر شعرتين عن ربتهما  
وخفف الشدة عيها واعتمد علي انكباب رأسه واشتهد<sup>70</sup>  
( اللوحة رقم -14- )

وقال الشيخ محمد العفيف: صفة مسكه بالإبهام والوسطي غير مقبوضة، لأن لبسط الأصابع  
يتمكن الكاتب من ادارة القلم ولا يرتكب علي القلم الأرتكاء الشديد المضعف له ولا يمسك  
الأمساك الضعيف فيضعف اقتداره في الخط لاكن يجعل الكاتب اعتماده في ذلك معتدلا<sup>71</sup>.  
قال حيون: اذا أراد أن يكتب يأخذ القلم فيتكا على الخنصر ويعتمد بسائر أصابه علي القلم ويعتمد  
بالوسطي علي البنصر، ويرفع السبابة علي القلم ويعمل الإبهام بدوره وتحريكه<sup>72</sup>.  
أما المراحل الأولى لتطور القلم والذي بما يعرف بالسيالة فنستهلها بقول القاضي النعمان<sup>73</sup>  
في صناعة القلم الذي اخترعه الإمام: ذكر الإمام المعز<sup>74</sup> لدين الله القلم، فوصف فضله ورمز فيه بباطن  
العلم ثم قال: نريد أن نعمل قلما يكتب به بلا استمداد من دواة، يكون مداده من داخله: فمتى شاء .  
الإنسان كتب به فأمدده وكتب بذلك ما شاء، ومتى شاء تركه، فارتفع المداد،

<sup>69</sup> -السنجاري: هو محمد بن الحسن السنجاري أديب من أرض العراق، مصنف فاضل له عدة مؤلفات من أبرزها الثغر  
الباسم في صناعة الكاتب والكاتب، وبضاعة الجود في الخط وأصوله ولمزيد من التفصيل أنظر: هلال ناجي، بضاعة الجود في  
الخط وأصوله، مجلة المورد، ص250.

<sup>70</sup> -هلال ناجي، بضاعة الجود في الخط وأصوله، نفسه، ص256.

<sup>71</sup> - القلقشندي، نفسه، ج3، ص16.

<sup>72</sup> -نفسه، ص37.

<sup>73</sup> -القاضي نعمان: أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن المنصور بن أحمد بن حيون التميمي، أحد الأئمة، وكان  
مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهبه الإمامية، عاصر الخلافة الفاطمية، وله عدة مؤلفات من أبرزها: افتتاح الدعوة، المجالس  
والمسايرات، ولمزيد من التفصيل أنظر: ابن خليكان، وفيات الأعيان، ص920.

<sup>74</sup> الإمام المعز: أحد الخلفاء الفاطميين، هو المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، أشتهر بحبه للعلم والعلماء وكان حكيما  
ورحيما، لمزيد من التفصيل أنظر: ابن خليكان، وفيات الأعيان، ج2، ص144.

و كان القلم ناشفا منه، يجعله الكاتب في كفه أو حيث شاء فلا يؤثر فيه ولا يرشح شيء من المداد عنه. ولا يكون ذلك إلا عندما يتبغى منه ويراد الكتابة به، فيكون آلة عجيبة لم نعلم سبقنا إليها ودليلاً على حكمة بالغة لمن تأملها وعرف وجه المعنى فيها.

فقلت: ويكون هذا يا مولانا .

قال: يكون إن شاء الله .

فما مر بعد ذلك إلا قلائل حتى جاء الصانع الذي وصف له الصنعة، به، معمولاً من ذهب فأودعه المداد وكتب به فكتب، وزاد شيئاً من المداد على مقدار الحاجة. فأمر بإصلاح شيء منه فأصله وجاء به فإذا هو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كل ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد. فإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به. ثم إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد. فرأيت صنعة عجيبة لن أكن أظن أني أرى مثلها وتبين لي فيه مثل حسن في أنه لا يسمح بما عنده إلا عند طلب ذلك منه، وفيما يعود بالنفع مما جعل سبباً له، ولا يجود لغير مبتغ ولا يخرج ما فيه إلا لمن يجب إخراج ذلك له لمن يجب، ولا يخرج منه ما يضر فيلطخ يد من يمسكه أو ثوبه أو ما لصق به، فهو نفع ولا ضرر، وجواد لمن سأل ومرضع لمن سأل، ومستغن بما فيه عن غيره أن يستمد منه<sup>75</sup>.  
فمما سبق يمكننا القول بأنها المرحلة الأولى لتطور القلم، ليسبح بما يعرف بالسيالة وسمي بها لسيلان الحبر بها.

### 3 المقلمة:

هي المكان الذي يوضع فيه الأقلام، والتي لا تزال مستعملة ليومنا هذا والتي تؤدي في دورها، سواء كانت من نفس الدواة أو أجنبية عنها، وفي العديد من الأحيان لا تعد من الآلات لكونها من جملة أجزاء الدواة غالباً.

أما في فيما يخص عدد الأقلام، فيقول الوزير أبو علي بن مقله: ينبغي أن تكون الأقلام علي عدد ما يؤثر الكاتب من خطوط، وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبري للقلم الذي هو بصدد أن يحتاج إلى كتابته ليحده مهياً فلا يتأخر لأجل برياته<sup>76</sup>، هذا لأن البراية الجيدة تتخذ من الكاتب الكثير من الوقت، هذا لإتقان عمله.

و كانت المقلمة تصنع بالمغرب الإسلامي في عصر الموحدين من رقعة جلد تشمل على مخبأ للأقلام من واحد إلى أربعة على الأكثر، ومعه في غشاء واحد مخبأ للسكين والمقرضين، ويكون في

<sup>75</sup> - القاضي نعمان، المجالس والمسائرات، بيروت، دار المنتظر، 1996، ص320.

<sup>76</sup> - القلقشندي، نفسه، ج2، ص449.

الرقعة مزدانة بنقشها من ظاهرها التي تكون وجهها للجميع بينما يحل الوجه الآخر من بقليل من النقش<sup>77</sup>.

#### 4 المفرشة :

و هي آلة تتخذ من حرق كتان : بطانة و ظهارة أو من صوف و نحوه تفرش تحت الأقلام و ما في معناها مما يكون في بطن الدواة.

#### 5 المسحة:

وتسمى الدفتر أيضا، وهي آلة تتخذ من حرق متراكبة ذات وجهين ملونين من صوف أو حرير أو غير ذلك من نفيس القماش، يمسح القلم بباطنها عند الفراغ من الكتابة لئلا يجف عليه الحبر فيفسد؛ و الغالب في هذه الآلة أن تكون مدورة مخزومة من وسطها. وربما كانت مستطيلة، و يكون مقدارها على قدر سعة الدواة. وفيها يقول القاضي الفاضل رحمه الله :

مسحة نهارها \* يجن ليل الظلم

كأنها مد خلقت \* مندبل كم القلم<sup>78</sup>

وقال نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها:

ومسحة لاحت كأفق تبددت \* به قطع الظلماء، والصبح طالع

ولما أطل الليل فيها وروده \* حكته، ومدت للصبح المطالع

وقال المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر:

ومسحة تناهى الحسن فيها \* فأضحت في الملاحاة لا تبارى

ولا نكر على القلم الموافى \* إذا في وصلها خلع العذارا<sup>79</sup>.

<sup>77</sup> -أحمد شوقي بنين،المخطوط العربي وعلم المخطوطات ،الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،1991،ص14.

<sup>78</sup> -نفسه،ص469.

<sup>79</sup> -القلقشندی،نفسه،ج2،ص469.



## خلاصة:

من خلال ما سبق نجد بأن القلم لعب دورا هاما في بناء الحضارة ببلاد المغرب الإسلامي ،فقد ساهم من خلال نشره لكلام سبحانه تعالي ،ونشر تعاليم الدين والمعرفة في جميع الفترات التي مرت بها بلاد المغرب الإسلامي، وهنا تتجلى مدي تشريفه سبحانه وتعالي للقلم، كيف وقد أقسم به في سورة القلم .

ولعل من أبرز أقوال البلغاء في القلم قول ابن المعتز إذ يقول بأن القلم يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة يسكت قائما وينطق سائرا في أرض بياضها سواد وسوادها مضيء ، لذا أبدع الكاتب المغربي في صفة انتخابه له ،فيميز القلم ببلاد المغرب الإسلامي بين الطول والقصر ، أما موضع القطة فنكون بقدر طول إبهام الأصبع ،أما الشق فيتراوح ما بين نصف وثلثي رأس القلم.

أما مواد صناعتها فهي الأخرى تنوعت بتنوع كتابها ،فصنع القلم المغربي من القصب والريش والذهب والفضة ،غير أن الاستعمال الشائع في بلاد المغرب الإسلامي ،من مادة القصب وهذا لسهولة الحصول عليه وتنوعه بالمنطقة.

يتنوع الأقلام فقد خصص الكاتب المغربي مقلمة لحفظ أقلامه ،ففي عصر الموحدين كانت تصنع من الجلد تشمل بدورها على مخبأ للأقلام ،التي تتراوح بين قلم وأربعة أقلام،فمن خلالها يتبين لنا بأن الكاتب المغربي لا يتعدي في كتابته أربع أقلام ،كما تحتوي المقلمة على مخبأ خصص لوضع السكينة فيه لبري الأقلام.

الفصل الثاني

# المصادر وأهميته الحضارية

- تمهيد.

أولاً: - فضل ذكر المواد.

ثانياً: - مواد وتقنيات صناعة المواد.

ثالثاً: - مستلزمات المواد .

رابعاً: - الاستمداد.

## تمهيد

من خلال دراستنا الميدانية للخزائن و الزوايا ، تبين لنا أن الناسخ المغربي قد استعمل المداد بمختلف أنواعه من أجل إخراج المخطوط في أحسن حلله، لذا سنستهل دراستنا للمداد بفضل ذكره:

أولا فضل ذكر المداد:

للتكلم علي المداد فلا بد أولا من التكلم علي الدواة وأهميتها فقد أخرج ابن حاتم من الرواية أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله التّون وهي الدّواة". وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما خلق الله التّون: وهي الدّواة<sup>1</sup>. والمراد بالنون في الآية هو الدّواة، وإن فسره بعضهم بغير ذلك. إذ الدّواة هي المناسبة في الذّكر لذكر القلم و تسطير الكتابة في قوله تعالى ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾<sup>2</sup> وبالجملة فإن الدّواة هي أمّ آلات الكتابة ، و سمّتها الجامع لها. ولا يخفى ما يجب من الاهتمام بأمرها، و الاهتمام بشأنها، فقد قال عبد الله بن مبارك: مَنْ خرج من بيته بغير محبرة وأداة، فقد عزم على الصدقة".

فالمحبرة في غالب الأعيان تكون ضمن الدواة ، فتتخذ من أجود العيدان وأرفعها ثمنا كالأبنوس، و السّاسم، و الصنّدل، وهذا اعتمد منه على ما كان يعتاده أهل زمانه، و يتعاناها أهل عصره<sup>3</sup>. ويقول القلقشندي: "وقد غلب الكتاب في زماننا من أهل الإنشاء و كُتّاب الأموال اتخاذا الدّويّ من النحاس الأصفر، والفولاذ، وتغالوا في أتمائها و بالغوا في تحسينها. والنّحاس أكثر استعمالا، و الفولاذ أقلّ لعزّته و نفّاسته، واختصاصه بأعلى درجات الرياسة، كالوزارة و ما يضاهيها. وأمّا دويّ الخشب فقد رُفضت وتركت إلا الأبنوس والصنّدل فإنه يتعاناها في زماننا قضاة الحكم وموقّعوهم و بعض الشهود الدواوين.

وأما التحلية، فقال الحسن بن وهب: سبيل الدّواة أن يكون عليها من الحليّة أخفّ ما يكون ويمكن أن تُحليّ بها الدّويّ، في وثاقه ولُطفٍ: ليأمن من أن تنكسر أو تنقصم في مجلسه، قال وحق الحيلة أن تكون ساذجةً بغير حُفرٍ ولا تّنيات فيها: ليأمن من مسارعة القذى و الدنس إليها، ولا يكون عليها نقش ولا صورة. و حق هذه الحيلة مع ما ذكره ابن وهب أن تكون من النحاس ونحوه دون الفضة و الذهب. على أن بعض الكُتّاب في زماننا قد اعتاد التحلية بالفضة. ولا يخفى أن حكم ذلك حكم الضبة في الإناء فتحرم مع الكبر والزينة، وتكره مع الزينة والكبر والحاجة، وتباح مع الصغر والحاجة من كسر ونحوه، كما

<sup>1</sup> - القلقشندي، نفسه، ج2، ص430.

<sup>2</sup> - الآية 1 من سورة القلم.

<sup>3</sup> القلقشندي، نفسه، ج2، ص431.

قرره أصحابنا الشافعية رحمهم الله، نعم يحرم التكفيت بالذهب والفضة، وكذلك التمويه إذا كان يحصل منه بالعرض على النار.<sup>4</sup>

وأما لاشتقاق تسمية المداد فيقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتٍ

رَبِّي﴾<sup>5</sup>، يقول الصولي: المداد في الأصل كل شئ يمد به ثم كثر الإستعمال لما تمد به الدواة فغلب كل شئ غيره فإذا قيل مداد لم يعرف غيره<sup>6</sup>، وسمي المداد مدادا لأنه يمد القلم ويعينه بإستمداد كما سمي الزيت مداد السراج يمد به يقول ابن منظور ومد الدواة وأمدها جعل فيها مداد والمادة هي الزيادة المتصلة<sup>7</sup>، يقول سبحانه تعالى: ﴿وَنَمِدْ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًا﴾<sup>8</sup>، والمداد هو الذي يكتب به<sup>9</sup>.

وفي الخبر يؤتي بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة فيوضع أحدهما في كفة الميزان والآخر في كفة الأخرى فلا يرجح أحدهما على الآخر. قال بعض الحكماء: صورة المداد في الأبصار سواد وفي البصائر بيضاء وقد قيل كواكب الحكم في ظلم المداد ونظر جعفر بن محمد إلى فتى إلى ثيابه فأثر المداد وهو يستره منه، فقال يا هذا إن المداد من المروءة .  
وأنشد أبو زيد:

إذا ما المسك طيب ريح قوم \* كفتني ذاك رائحة المداد

وما شئى بأحسن من ثياب \* على حافتها حمم السواد

وقال بعض الأدباء عطروا دفاتر الآداب بسواد الحبر وكان في حجر ابراهيم ابن العباس قرطاس يمشق فيه كلام فأسقط فمسه بكمه فقبل له لو مسحته بغيره فقال المال فرع و القلم أصل والأصل احق بالصون من الفرع، وأنشد في ذلك :

إنما الزعفران عطر العذراى \* ومداد الدوى عطر الرجال

وأنشد غيره :

من كان يعجبه أن مس عارضه \* مسك يطيب منه الريح والنسما

فإن مسك المداد فوق أنمليتي \* إذا الأصابع يوما مست القلما<sup>10</sup>

<sup>4</sup> - نفسه، ص 432.

<sup>5</sup> - الآية رقم 110 من سورة الكهف.

<sup>6</sup> الصولي، نفسه، ص 101-102

<sup>7</sup> - ابن منظور، نفسه، ج 14، ص 124.

<sup>8</sup> - الآية رقم 76 من سورة مريم .

<sup>9</sup> - ابن سيده، المخصص، ج 13، ص 6.

<sup>10</sup> القلقشندى، نفسه، ص 454.

بينما يري البعض عكس ذلك و أنكره ،وقيل المداد في ثوب الكاتب سخافه،ودنائة منه وقلة نظافة ،قال أبوا العالية :تعلمت القرآن والكتابة ،وما شعر بي أهلي وما رأى في ثوبي مداد قط ، وأنشدوا :

دخيل في الكتابة يدعيها \* فدعوى آل حرب في زياد  
يشبه ثوبه للمحو فيه \* فإذا أبصرته ثوب الحداد  
فدع عنك الكتابة فلست منها \* ولو لطخت وجهك بالمداد

وقال فارس بن حاتم : بريق الحبر تهندي العقول بجبايا الحكم :لأنه أبقى على الدهر وأئني للذكر ،وأزيد للأجر،<sup>11</sup> وأعلم أن المداد ركن من أركان الكتابة وعله مداد الربع منها وأنشد في ذلك :

ربع الكتابة في سواد مدادها \* والربع حسن صناعة الكتاب  
والربع من قلم تسوي بربه \* وعلى الكواغد رابع الأسباب

قال بعض العلماء رحمهم الله وإنما أختير فيه السواد دون غيره لمضادته لون الصحيفة ، قال :وليس شيء من الألوان يضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض .

قال الشاعر :

فالوجه مثل الصبح مبيض \*والفرع مثل الليل مسود  
ضدان لما أستجمعا حسنا \* والضد يظهر حسنه الضدنه<sup>12</sup> .

وذكر ابن عبد ربه الأندلسي أن جعفر بن محمد نظر إلي فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره فقال له:

لا تجزعن من المداد فانه \* عطر الرجال وحلية الكتاب<sup>13</sup>

كما سمي المداد نقسا على لسان ذكر ابن منظور وقد ذكر في شعر حميد بن ثور :

لمن الديار بجانب الحبس \* كخط ذي الحاجات بالنقس .

<sup>11</sup> -القلقشندي،نفسه،ج2،ص460. أنظر الصولي،أدب الكتاب،ص103.

<sup>12</sup> -نفسه،ص461.

<sup>13</sup> - ابن عبد ربه ،العقد الفريد، القاهرة ،1949،ج4،ص200.

وسمي المداد حبرا، فيري القلقشندی أن الأصل في الحبر اللون، يقال فلان ناصح الحبر يراد به اللون الخالص الصافي من كل شئ، فيقول ابن أحمد يذكر امرأة :  
تتبه بفاحم جعد \* وأبيض ناصح الحبر  
والمراد هنا بياض لونها وسواد شعرها<sup>14</sup>.  
يقول ابن منظور<sup>15</sup>: أحبري الأمر، سري والحبر و الحبرة النعمة، فالمراد به أثره علي المادة التي يكتب بها عليه<sup>16</sup>، ويقول الصولي إنما سمي الحبر حبرا لتحسينه الخط، ومن قولهم حبرت الشئء تحبيرا، وحبرته حبرا زينته وحسنته والاسم الحبر<sup>17</sup>.

غير أنه في بلاد المغرب الإسلامي لا يعرف جهاز الدواة بمصطلحه المشرقي وإنما تتراد الدواة بما يعرف بالحبرة، فيطلق الإسمان على كل منهما غير أن الإسم أكثر استعمال هو الدواة ويقصد بها الحبرة التي تحتوي على المداد دون غيرها<sup>18</sup> (اللوحة رقم -15- )

### ثانيا: 1 مواد صناعة المداد:

تعددت مواد التي يصنع منها المداد ففي بادئ الأمر كان يجلب بها من الصين<sup>19</sup>، أما في الغالب فكانت تصنع من مواد محلية أو تجلب من المشرق، وقول القلقشندی:  
واعلم أن المواد لذلك منها ما يستعمل بأصله ولا يحتاج فيه إلى كبير العلاج وتديير كالعفص<sup>20</sup>، والزاج<sup>21</sup> والصبغ وما أشبهها<sup>22</sup>، وهي ما تعرف بالحبر المطبوخ وهو سهل الصناعة وهو ما يناسب الرق<sup>23</sup>.

14 - القلقشندی، نفسه، ج2، ص461.

15 - ابن منظور، نفسه، ج2، ص249.

16 - المقصود بالمواد: القرطاس الجلد، الورق بأنواعه

17 - الصولي، نفسه، ص102.

18 - محمد المنوني، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، المملكة المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة

ندوات ومناظرات رقم 33، ص11.

19 - لأن الأحبار في القدم كانوا يجلبونه من الصين، أنظر البغدادي، المصدر السابق، ص39. عبد العزيز بم محمد المسفر، المخطوط

العربي وشيء من قضاياها، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، 1999، ص32.

20 العفص: حمل شجر البلوط تحمل سنه بلوطا وسنه عصفاء، وهو مادة غنية بحامض التنيك .

21 - الزاجك المقصود منه الزاج الأخضر هو كبريتات الحديد.

22 القلقشندی، نفسه، ج2، ص464.

ومنها ما يحتاج إلى علاج وتدبير، وهو الدخان. قال أبو القاسم خلوف بن شعبة الكاتب: ويتوخى في الدخان أن يكون من شيء له دهنية ولا يكون من دخان شيء يابس في الأصل لأن دخان كل شيء مثله وراجع إليه، وهو قليل اللبث وسريع الزوال<sup>24</sup> فلا يصلح للجلود والرق ويناسب الورق. قال أحمد بن يوسف الكاتب: كان يأتينا رجل في أيام خمارويه<sup>25</sup> بمداد لم أر أنعم منه، ولا أشد سوادا منه. فسألته من أي شيء استخرجته؟ فكنتم ذلك عني، ثم تلطفت به بعد ذلك، فقال لي: من دهن بزر الفجل والكتان، أضع دهن ذلك في مسارج وأوقدها، ثم أجعل عليها طاسا حتى إذا نفذ الدهن، رفعت الطاس، وجمعت ما فيها بماء لآس والصمغ العربي. وإنما جمعه بماء لآس ليكون سوادا مائلا إلى الخضرة، والصمغ يجمعه ويمنعه من التطاير.

قال صاحب الحيلة: وإن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه، وتلقى عليه ماء، وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الآس<sup>26</sup>، و العسل و الكافور و الصمغ العربي و الملح، وتمده وتقطعه شوابير، و الدخان الأول أجود<sup>27</sup>.

أما فيما يخص تصنيف مواد صنعها فيمكن حصرها في مواد نباتية ومواد معدنية، وبعضها من أصول حيوانية غير أن الاختلاف يكمن في كيفية مقادير استعمال هته المواد<sup>28</sup>. فتعدت آراء الأولين في صنعة المداد ونستهلها بقول الوزير أبو علي بن مقلة رحمه الله: وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال، فيجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير، ويصب عليه من الماء ثلاثة أمياله، ومن العسل رطل واحد، ومن الملح خمسة عشر درهما، ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما، ومن العفص عشرة دراهيم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يتخن جرمه و يصير في هيئة الطين، ثم يترك في إناء ويرفع إلى وقت الحاجة. وما ذكره فيه إشارة إلى أنه لا ينحصر في سخام النفط، بل يكون من دخان غيره أيضا كما تقدم. نعم ذكر صاحب الحيلة أنه يحتاج مع ذلك إلى الكافور لتطيب رائحته، و الصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه. وقيل: إن الكافور يقوم مقام الملح في غير الطيب<sup>29</sup>.

<sup>23</sup> -البطليوسي، الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، بيروت، المطبعة الأدبية، 1901، ص68.

<sup>24</sup> -نفسه، ص68.

<sup>25</sup> خمارويه بن طولون: أبو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، وكانت ولايته في أيام المعتمد على الله، ولما مات المعتمد وتولى

المعتضد الخلافة، بادريه خمارويه بالهدايا والتحف، فأقره المعتضد على عمله، وسأل خمارويه أن يزوج ابنته قطر الندى، وكان

صداقها ألف ألف درهم، وكانت موصوفة بفرط الجمال والعقل، علا شئنه، لمزيد من التفصيل أنظر ابن خليكان، وفيات

الأعيان، ج1، ص252.

<sup>26</sup> -الآس: هو المرسين.

<sup>27</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص464.

<sup>28</sup> -السيد السيد النشار، نفسه، ص14.

<sup>29</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص465.



وقد كان اللون الأسود في المداد هو المفضل، هذا لأن السواد أجود في ظهوره على بياض القرطاس وأنصح صورة، هذا نهيك عن سهولة صناعته، هذا لأن الألوان تحتاج لمواد أخرى وأكثر مراحل<sup>30</sup>. فقد اعتني الكتاب بأدوات الكتابة والمداد على وجه الخصوص فكان يضاف إليه العطور فقد روي أن أبا محمد الفياض كاتب سيف الدولة كان يعجن مداده بالمسك، ويليق دواته بماء الورد، وكان بعض الكتاب يطيب دواته بأطيب ما عنده من الطيب، فسئل عن ذلك فقال: لأنني أكتب بها أسم الله واسم رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام<sup>31</sup>.

قد صنف القلقشندي في صنعة الحبر للصنفين:

الصنف الأول:

ما يناسب الكاغد أي الورق: وهو حبر الدخان، يؤخذ من العفص الشامي قدر رطل يدق جريشا و ينقع في ستة أرطال ماء مع قليل من الآس أسبوعا، ثم يغلي على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر و يترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانيا، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج القبرسي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة. ولا بد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوع الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن،<sup>32</sup> ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر، بعد أن تسحق الدخان بكلوة كففك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزنجار الي أن تجيد سحقه، ولا تطحنه في هاون لكلا يفسد.

ما الصنف الثاني فهو ما يناسب الرق ويسمى الحبر الرأس، ولا دخان فيه ولذلك يجيء بصاضا

براقا، وبه إضرار للبصر في النظر إليه من جهة بريقه ويفسد الكاغد بالطول، ونذكر منه:

ما يؤخذ من العفص الشامي رطل واحد فيجرش، ولقي عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لينة حتى ينضج، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصاصة ثم يلقي عليه من الصمغ العربي ثلاث أواق ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جديد ويستعمل عند الحاجة<sup>33</sup>.

ويقول يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، في كتابه<sup>34</sup> المسمى التقييد المجموع لمن هو في هذا الفن

مولع، ففي كيفية عقد المداد الأسود فجعه في بيت فقال:

<sup>30</sup> - يحيى وهيب الجبوري، نفسه، ص 292.

<sup>31</sup> نفسه، ص 292.

<sup>32</sup> - القلقشندي، نفسه، ج 2، ص 465.

<sup>33</sup> - القلقشندي، نفسه، ج 2، ص 466.

<sup>34</sup> ، أنظر: ( اللوحة رقم -17- ) .

جزءان من عصف وجزء من سواد \* أربعة من علك تصلح المداد

والمقصود بالسواد وهو الزاج أو الطملة وهم البدل للزاج<sup>35</sup>.

وهو ما يسمى بالحرير الكربوني والذي يتميز بعدم انبهاقه مع الوقت، ولا يتأثر بالضوء أو مواد التبييض، ناهيك عن مكوناته التي لا تضر بالأوراق، فبالرغم من كل هذا إلا أن له بعض العيوب مثل تأثره بالرطوبة ويسهل نزعها من الورق<sup>36</sup>.

ويقول المعز بن باديس في صفة المداد الصيني الذي يشبه الحرير:

تأخذ من المداد الفاسي الجيد ما شئت فتستحقه بلبن حليب ثلاثة أيام، كلما حف سقيته لبناً،

واسحقه ثم صيره صحائف، وقطعه شواير على ما تختار، فإنه يجيء كالشيخ.

وفي صفة مداد أيضا يشبه الحرير تأخذ سمن البقر، ودهنا من الأدهان مثل السمن، الطيبة الرائحة، ثم تضعه في إناء، وتضع عليه إناء آخر، وتوقد تحت الإناء الذي فيه الدهن أو السمن، أو أي دهن أردت، حتى يصير الدهن أو السمن كله دخانا قد صعد في الإناء الأعلى، ويصير في سماء الغطاء، متصاعدا لأعلى، فتجمعه. فعمل بهذا الدخان كما عملت بالمداد الأول<sup>37</sup>.

ويقول أيضا في صفة مداد هندي: تأخذ الأرز، أو ثمر الصنوبر اليابس، أوهما جميعا، ويجعل في جرة جديدة، ويبيت في فرن حتى يصير فحما، ثم يخرج من الغد، فتسحقه أيام صلاية، ويسقى بماء الآس المطبوخ، وتضيف إليه من الزاج المعمول على الصفة المذكورة، فإذا استحكم سحقه بماء الآس، يجفف ويسحق بماء الصمغ بمقدار ما يحتمله من الصمغ لكل رطل من المداد المسحوق أو قيتين من ماء الصمغ، وإن زيد قليلا لم يضره، وإذا اشتد في الصلاية، نزع منها، وعجن وجعل على طوابق وترك في الظل، يجيء حسنا إن شاء الله تعالى<sup>38</sup>.

وفي وصفه للمداد الكوفي يقول: تأخذ قشور الرومان وحطبه، فتحرقها، وتأخذ رمادها فتعجنه

بلبن حليب وشيء من صمغ مبلول، ثم تجعله أقراصا، فإنه أجود ما يكون من المداد. وفي وصفة أخرى

للمداد نفسه يقول: تأخذ عنعنا روميا فيحرق حتى يصير فحمة، ثم اسحقه بماء الصمغ المقووظ، واجعله أقراصا، وجففه في الظل يأتيك جيدا إن شاء الله تعالى<sup>39</sup>.

<sup>35</sup> - يوسف بن عبد الحفيظ التنلاي، التقيد المجموع لمن هو في هذا الفن مولع، مخطوط، ملك خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي،

كوسام، نسخه، الطيب بن عبد الله بن سالم سنة 2001.

<sup>36</sup> مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة، عالم الكتب، 2002، ص 35.

<sup>37</sup> 33.

<sup>38</sup> - نفسه، ص 34.

<sup>39</sup> نفسه، ص 35.

أما في صفة المداد الفارس يقول: خذ من نواة التمر الذي قد نضيج في الخل، واجعله في جرة على قدر ما تريد منه، وطين الجرة بطين الحكماء، وقد صبرت على فمها خرقة قبل الطين، فإذا طينتها دعها حتى تجف قليلا، ثم إن شئت أوقدت عليها الحطب المحول من غدوة إلى الليل، وإن شئت أدخلتها في فرن الزجاجين، فإذا أخرجتها من النار، فأزلها حتى تبرد، فإنها تخرج سوداء كالفحم، ثم اجعله أقراصا على ما تريد<sup>40</sup>.

### المداد المغربي:

ويقول يوسف بن عبد الحفيظ في الكيفية الثانية لعقد لون من الحمرة : وهو الذي يصنع من الفوة وهو أيضا كما قيده لي سيدي الطيب المذكور ما نصه، وهي أن تأخذ عيدان الفوة فتسحقها سحقا وتضيف إليها قدر الربع من الشب اليماني، وإن لم يوجد فالشب مطلقا، وقطر عليها من ماء البيض الذي ليس هو بياض البيض ولا مخه بل الماء الذي بين البياض والمخ وزد لهما ماء قليلا وإعصرهما من خرقة تكون حسنة، فيكون لونه مليحا<sup>41</sup>. (اللوحة رقم -16- )  
ويقول في الكيفية الثالثة في عقد الذي يصنع من اللك وهو أحمر عكري<sup>42</sup>، فتأخذ وقاء من الغاسول العشي وتسحقه ناعما وضمف لهما قليلا من الشب وألق عليه أبيض (8)، وأمزج ذلك حتى يختلط وأطرحه للشمس حتى يجف وأمسكه لوقت الحاجة، فإذا كان وقائين فتضاعف مقدار البيض، وإن كان نصف الوقاء فقسم عدد البيض لجزئين<sup>43</sup>.

وفي الكيفية الرابعة يقول في كيفية عقد الزنجفور فإن كان مسحوق فيلقي في الدواة ويلقى عليه العلك حتى يضيء منه ويلقى عليه الماء حتى يعجنه به وأن لم يسحق فيجب أن يسحق أيضا حتى يصير دقيقا نحو ثلاث مرات أو أكثر، فللسحق غاية وهو الذي يجيد الدواة، فما زيد سحقه إلا زادت جودته<sup>44</sup>. يقول أيضا في كفيته الخامسة في عقد الزرنخ وسحقه، فيقول له نوعان: نوع يضرب للون الأحمر، والآخر للون الأصفر والذي يطلق عليه بالذهبي فهو صعب السحق أكثر من الأحمر فيسحق ويعقد بالزنجفور<sup>45</sup>. (اللوحة رقم -17- )

<sup>40</sup> - نفسه، ص35. أنظر: أبو بكر محمد بن محمد القلوسى الأندلسي، تحف الخواص في طرف الخواص، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، 2007، ص23.

<sup>41</sup> - يوسف بن عبد الحفيظ التنلاني، المصدر السابق، ص3. أنظر: أبو بكر محمد بن محمد القلوسى الأندلسي، تحف الخواص في طرف الخواص، ص21. (اللوحة رقم -16- )

<sup>42</sup> - اللون العكري: هو الذي تضرب حمته للسواد ويضاهي الدم على خلاف غيره

<sup>43</sup> - نفسه، ص4.

<sup>44</sup> - نفسه، ص5.

<sup>45</sup> - نفسه، ص6.

وقد أدرج أبو بكر محمد بن محمد القللسي الأندلسي قانون تركيب المداد الذي يصنع من العفص والزاج والصمغ ضمن جدول يبرز كل من أنواع المداد وأوزانها وكيفية عقدها (الجدول رقم-2)

أما فيما يخص ألوان المداد:

### ثانيا/1- في المداد الأخضر : (اللوحة رقم-18)

يقول أبو بكر محمد بن محمد القللسي: يؤخذ من ماء العفص غير نقوس ويسحق فيه الزنجار مع قليل من الخل ويضاف له قليل من الزعفران والصمغ العربي فيسبح جاهز للإستعمال<sup>46</sup>. ويقول المعز بن باديس: تأخذ ممن الزرنينخ الأصفر عشر أجزاء، ومن النبيل الجيد جزئين فتخلطهما جميعا وتسحقهما سحقا جيدا فإنه يصير أخضرا مشبعا، وكلمما أردت أن تزيده شراقة، قم بذره من الزرنينخ قليلا، حتى يصير الى الخضرة المشرقة فيمكنك أن تكون منه ألوانا كثيرة الألوان<sup>47</sup>. ويقول أيضا: تأخذ من قشر الرمان الحامض عشرين مثقال، وان كان رطبا كان أجود له، ومن قشر الجوز الأخضر مثله، ومن العفص الأخضر عشرين مثقال ومن الأثمد الإصفهاني عشرين مثقال، ومن عصارة الآس مثله، وتجعله في الشمس أربعين يوما، ثم تقوم بتصفيته وتجعله في قارورة ثم تأخذ زنجار مسحوق، ثم قم بالرج فيصير صالحا<sup>48</sup>.

### ثانيا/2- في المداد الأزرق: (اللوحة رقم-19)

يقول يوسف بن عبد الحفيظ التلاني في عقده: خذ شيئا من النيل وأجعل عليه شيئا من البيض فيصير جيد. وفي صفة الزنجار خذ شيئا من الطيب منه وقم بغسله جيدا بالماء، ثم قم بسحقه سحقا ناعما ثم خذ منه أوقية واجعل عليه درهمين من الصمغ العربي وثمان درهم من الزعفران فيكون جيدا<sup>49</sup>. يقول أبو بكر محمد بن محمد القللسي: قم بطبخ الضفيرة طبخا بليغا وظف لصفوتها شيء من ماء العفص الصافي والصمغ فيصير جاهزا للاستعمال<sup>50</sup>

<sup>46</sup> -أبو بكر محمد بن محمد القللسي الأندلسي، نفس المصدر، ص28.

<sup>47</sup> [REDACTED] 63.

<sup>48</sup> نفسه، ص46.

<sup>49</sup> يوسف بن عبد الحفيظ التلاني، نفسه، ورقة7، ب.

<sup>50</sup> أبو بكر محمد بن محمد القللسي، نفسه، ص29.

ويقول المعز بن باديس: قم بأخذ البارووق، واسحقه سحقاً جيداً ناعماً ويلقى عليه من النيل شيء يسير ويسحق، ويمكن استعماله هكذا، فإن أردته كحلياً أغمق من ذلك فزد إليه قليل من النيل والصمغ العربي، فزيادة النيل تمكنك من اخراج ألوان كثيرة<sup>51</sup>.  
ويقول أيضاً في صفة الحبر أزرق طاووس<sup>52</sup>: يؤخذ نواة كزبرة العصف، فيطبخ حتى يصير كالمرهم، ثم يلقي عليه وزن خمسة دراهم صمغ ودرهم من اللك، ليصبح جاهزاً للكتابة<sup>53</sup>.

### ثانياً/3- في المداد الأحمر: (اللوحة رقم -20)

يقول المعز بن باديس: قم بأخذ قشر الرمان الحامض عشرين مثقال، وإن كان رطباً كان أجود له، ومن قشر الحوز الأخضر مثله، ومن العصف الأخضر عشرين مثقال ومن الأثمد الإصفهاني عشرين مثقال، ومن عصارة الآس مثله، وتجمعه في الشمس أربعين يوماً، ثم تقوم بتصفيته وتجعله في إناء وتلقي عليه زنجفراً مسحوقاً، ويحرك بواسطة قلم فيصير جاهزاً للاستعمال<sup>54</sup>.  
ويقول أيضاً في صفة الحبر الأحمر: يؤخذ من العصف فيرص ويلقى ما في داخله من الحمرة والسواد ويترك قشره الخارجي، فينقع في الماء بعد غسله جيداً بالماء ووضعه في إناء، وقم بتحريكه، فإذا صارت له رغوة، فقم بتصفيته وتركه على حاله حتى يجف مائه فقم بدقه دقاً جيداً، ليصير مثله مثل الغبار، لتضيف عليه الماء، وقم برجه، ثم دعه ساعة من الزمن، وخذ صمغاً عربياً وأجعله فيه، فيصبح جاهزاً للكتابة<sup>55</sup>.  
ويقول أيضاً في صفة الحبر الأحمر الياقوتي: يؤخذ من الزعفران فقم بغسله جيداً ثم اسحقه حتى يصير مثل المرهم ثم قم برجه بماء العفص الأبيض، وتدعه ساعة من الزمن، ثم قم برجه مرة أخرى بماء الصمغ العربي المحلول، وقم بتحريكه تحريكاً جيداً، فيصبح جاهزاً للاستعمال<sup>56</sup>.  
ويقول أبو بكر محمد بن محمد القلوسى: يؤخذ من الزنجفور مقدار ماء ويغسل ويترك ويتزل ويضرب ما تعقد منه بماء العفص والصمغ ويخلط معه ماء طيبخ رجل الحمام ما يكفيه ويستعمل<sup>57</sup>.

51 - المعز بن باديس، نفسه، نص 29.

52 ، سمي بالأزرق الطاووس نسبة لريش الطائر الطاووس

53 48

54 - ، نفسه، ص 46.

55 نفسه، ص 47.

56 نفسه، ص 47.

57 - أبو بكر محمد بن محمد القلوسى، نفسه، ص 28.

## ثانيا/4- في صنع المداد الأصفر والذهبي: (اللوحة رقم -21- )

يقول يوسف بن عبد الحفيظ التتلاي في صفة المداد الذهبي: خذ ست أوراق من الوشق وهو الفاسوخ وقم بغمسه في الماء يوما وليلة ثم قمم بفركه بأصبع يدك جيدا، ثم أجعل عليه وزن درهم زعفران الملون كالذهب، وأن الزنجار إذا اطلق وجعل في الدواة وألقي عليه شيء قليل من الزعفران صار ربيعا أي يشبه الربيع وهو نبات، فيصير جاهزا للكتابة<sup>58</sup>.

ويقول المعز بن باديس: قم بأخذ قشر الرمان الحامض عشرين مثقال، وان كان رطبا كان أجود له، ومن قشر الجوز الأخضر مثله، ومن العصف الأخضر عشرين مثقال ومن الأثمد الإصفهاني عشرين مثقال، ومن عصارة الآس مثله، وتجعله في الشمس أربعين يوما، ثم تقوم بتصفيته وتجعله في إناء، وتأخذ زرينخا أصفر مسحوق وتضعه في الإناء وتقم بالرج جيد فيصير جاهزا للإستعمال<sup>59</sup>.

ويقول أيضا: قم بأخذ زرينخ رهباني، وقم بسحقه على بلاطة نظيفة سحقا جيدا، حتى لا يحس الفهر<sup>60</sup> وقعه بالماء العذب، ويلقي عليه شيء من الزعفران، وصبغ العربي، ويسحق به، ويرفع في ليقة الدوة. وهناك صنف يؤخذ من الزرينخ الأحمر المشرق الحمرة فيسحق بالماء سحقا جيدا فإن شئت حللت فيه الزعفران، وان شئت تركته بلونه، ثم ترفعه في ليقة أي اناء زجاج، وتكتب به بعد أن تضيف إليه صمغا، وإن أردت أن تزيد مع الزعفران زنجفر فأفعل، فيصبح جاهز<sup>61</sup>.

ويقول أبو بكر محمد بن محمد القلوسي في صفة المداد الأصفر: يؤخذ من ماء العفص ويسحق فيه الزينخ الأصفر، ويضاف إليه من الصمغ مقدار الحاجة.

وقال أيضا: يؤخذ من الزرينخ الأحمر ثلاثة أجزاء ومن الزعفران جزء ومن الصمغ العربي جزء يجل الجميع بالماء، فيصبح جاهزا للإستعمال<sup>62</sup>.

ويقول القلقشندي: أن يجل ورق الذهب وصفة حله أن يؤخذ ورق الذهب الذي يستعمل في الطلاء ونحوه، فيجعل مع شراب الليمون الصافي النقي، ويقتل فيه في إناء صيني أو نحوه أو يضمحل جرمه فيه ثم يصب عليه الماء الصافي النقي ويغسل من جوانب الإناء حتى يتزج الماء والشراب ويترك ساعة حتى يرسب الذهب، ثم يصفى الماء عنه ويؤخذ ما رسب في الإناء ثم يجعل في مفتلة زجاج ضيقة من الأسفل ليجعل معه قليل من الليقة، والتر اليسير من الزعفران بحيث لا يخرج عن اللون الذهب، وقليل من ماء

<sup>58</sup> - يوسف بن عبد الحفيظ التتلاي، نفسه، ص8-9.

<sup>59</sup> المعز بن باديس، ص68.

<sup>60</sup> -الفهر: هو حجر دقيق تسحق به الأدوية.

<sup>61</sup> -المعز بن باديس، نفسه، ص69.

<sup>62</sup> أبو بكر محمد بن محمد القلوسي، نفسه، ص28.

الصمغ المحلول ويكتب به فإذا جف قل بمصقلة من جزع حتي يؤخذ حده ثم يزمك بالخير من جوانب الحرف. (اللوحة رقم-22-)

أما اللازورد فأنواعه كثيرة، أجودها المعدني وباقي ذلك مصنوع لا يناسب الكتابة إنما يستعمل في الدهانات ونحوها يوز، وطريق الكتابة به أن يذاب بالماء ويلقى عليه قليل من ماء الصمغ العربي ويجعل في دواة كدواة المتقدم ذكرها، وكلما رسب حرك بالقلم، ولا يكثر به الصمغ كي لا يسود ويفسد.

أما الزنجفر: أجوده المغربي وطريقة الكتابة به أن يسحق بالماء حتي ينعم، وإن سحق بماء الرمان الحامض فهو أحسن، ثم يضاف عليه ماء الصمغ ثم يلاقي بلقمة كما يلاقي الخير ويجعل في دواة ويكتب بها<sup>63</sup>.

هذا فيما يخص أهم الألوان ويقول المعز بن باديس: اعلم أن الألوان إنما هي أبيض أسود وأحمر أخضر وأصفر، ولون السماء. الأبيض هو الباروق والأسود هو المداد، واللازورد هو لون السماء، بنيل وزنجار مركب، ويعمل أحمر بزنجفر واسرنج، والأصفر الفاقع من الزرنينخ الأصفر، والحمرة زرنينخ الأحمر.

والأصباغ لا يختلف بعضها ببعض، إلا مسحوقة مملولة، فإنه أجود الإسفداج وهو الباروق وبه تكثر الأصباغ وتنقل من لون إلى لون، وهو وحده للبياض جيد لا غيره، والزرنينخ والازورد لا يمازجا بشيء وليس فيهما غير لونهما.

ويكون من الازورد اسم نجوي<sup>64</sup> وهو أن يتخذ من اللزورد جزء ومن الباروق جزء وتسحقهما، ثم تدخل عليه الباروق قليلا جزءا آخر من الباروق. فيحول من لون إلي لون وتتخذ منه ما شئت<sup>65</sup>.

وقال ابن العفيف: شيثان لا يتم المداد إلا بهما العسل والصبر أما العسل فيحفظه على مر الأيام ولا يكاد يتغير عن حاله، وأما الصبر فإنه يمنع الذباب من التزول إليه<sup>66</sup>.

<sup>63</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص466.

<sup>64</sup> -نجوي: عرقي متشعب العروق

<sup>65</sup> - المعز بن باديس، نفسه، ص62.

<sup>66</sup> -هلال ناجي، منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة، نفسه، ص212.

وقال بعضهم: لا بد للحبر من الملح والكافور، لأن الملح يمنعه من التعفين، والكافور يحسن رائته، ويمنعه من نفوذه للكاغد على طول الزمن<sup>67</sup>.

### ثالثا مستلزمات المداد:

#### 1/الدواة والحبرة:

الدواة ويقصد بها الآنية التي يوضع بها الحبر سواء كانت من خزف أو طين أو زجاج أو من قوارير مادامت صنعت لتجمع المداد غير أن الكاتب المغربي تفنن في صنعها (اللوحة)، فقسم القلقشندي الحبرة لمكونات ثلاثة:

#### أ: الجونة :

تسمي المليق وهي النقرة التي يوضع فيها المداد<sup>68</sup>، فهي الظرف الذي يوضع فيه الليقة والحبر، قال بعض فضلاء الكتاب: ينبغي أن تكون شكلا مدور الرأس يجتمع علي زاويتين قائمتين، يوقدهما خط، ولا يكون مربعا على حال لأنه إذا كان مربعا يتكاثف المداد في زواياه فيفسد المداد، فإذا كانت ممستديرة، كان أبقى للمداد، وأسعد في الإستمداد<sup>69</sup>. (اللوحة رقم-23-)

وكان لأبي القاسم الشريف السبتي محبرة من عاج موشح بالذهب، وقد أنشد فيها :

وناصحة البياض تخيروها من العاج الموشح بالنضار  
أقول وقد صببت الحبر فيها كذلك الليل يولج في النهار<sup>70</sup>

#### ب: الليقة:

تكون من الحرير والقطن والصوف، قال الجاحظ: لا تستحق اسم ليقة حتى تلاق في الدواة بالأنقاس<sup>71</sup> وهو المداد، فيقال: ألفت الدواة وليقتها مأخوذة من قولهم فلان لا تليق كفه درها، أي لا تمسك

و الليقة هي الصوفة في الدواة وتسميها العرب الكرسف، تسمية لها بإسم القطن الذي تتخذ منه في بعض الأحوال

<sup>67</sup> -نفسه، ص212.

<sup>68</sup> -المعز بن بادبي، نفسه، ص66.

<sup>69</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص460.

<sup>70</sup> -محمد المنوي، تاريخ الوراقة المغربية، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 1991، ص33.

<sup>71</sup> -نفسه، ص460.



وروي ابو العباس المراد<sup>72</sup> عن الأصمعي أنه دخل على الرشيد بعد غيبة خابها فقال له كيف حالك يا أصمعي؟ فقال مالقتني نحوك أرض يا أمير المؤمنين فأمسك الرشيد عنه فلما تفرق الجمع قال له ما معني ألا ألقيني؟ قال ما حبستني فقال الرشيد لا تكلمي في مجلس العامة بما لا أعلم<sup>73</sup>.

قال الشيخ علاء الدين السمرى: ويتعين على الكاتب تحديد الليقة في كل شهر مرة، وأنه حين فراغه من الكتابة يطبق المحبرة لأجل ما يقع فيها من التراب ونحوه، فيفسد الخط ونظم ذلك في أرجوزته فقال:

وجدد الليقة كل شهر \* فشيخنا كان بهذا يغرى

لأجل ما يقع فيها من قذى \* فينتشى من ذاك في تالخط أذى

وينبغي له مع ذلك أن يصونها عن الأشياء القذرة كالבصاق ونحوه، فقد حكى محمد بن عمر المدائني أن بعض العلماء رأى صبيا يبصق في دواته فزجره، وقال لمعلمه أمتنع الصبيان عن مثل هذا، فإنما يكتبون به كلام الله<sup>74</sup>.

والتي لا تزال تستعل ولا يمكن الإستغناء عنها لكنها استعملت في الغالب من الصوف وهذا لسهولة جلبه ورخص ثمنه.

<sup>72</sup> - المراد أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد، بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلالترل بغداد، وكان إماما في النحو واللغة، وله التواليف لمزيد من التفصيل أنظر: ابن خليكان، وفيات الأعيان، ج2، ص164.

<sup>73</sup> - الصولي، نفسه، ص56. أنظر: القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج2، ص469.

<sup>74</sup> - القلقشندي، نفسه، ج2، ص459. أنظر: ابن قتيبة، رسالة الخط والقلم، ص16.

## 2/الملواق:

الملواق ، بكسر الميم و هو ما تلاق به الدواة أي تحرك به الليقة .قال بعض الكتاب : و أحسن ما يكون من الآبنوس لثلا يغيره لون المداد . قال : ويكون مستديرا مخروطا ، عريض الرأس نحيفه <sup>75</sup> .

## 3- المسقاة:

هي آلة لطيفة تتخذ لصب الماء في المحبرة و تسمى الماوردية أيضا لأن الغالب أن يجعل في المحبرة عوض الماء ماء ورد لتطيب رائحتها، وأيضا فإن المياه المستخرجة كماء الورد و الخلاف و الريحان ونحو ذلك لا تحل الحبر ولا تفسده، بخلاف الماء. وتكون هذه الآلة في الغالب من الخبزون الذي يخرج من البحر الملح، وربما كانت من نحاس ونحوه، و المعنى فيها أن لا تخرج المحبرة من مكائها، ولا يصب من إناء واسع الفم مثل الكوز ونحوه، فربما زاد الصب على قدر الحاجة <sup>76</sup> .

## رابعا الإستمداد:

لم يترك القدماء ناحية من نواحي الكتابة إلا وأثرونا بها وأشبعونا بها ،حتى أنهم ذكروا لنا الأصول الصحيحة التي يجب على الكاتب اتباعها في وضع القلم في الدواة لأمداده بالمداد قالوا: أما الإستمداد فهو أصل عظيم من أصول الكتابة،وقد قال المقر العلاءي: من لم يحسن الإستمداد وبري القلم فليس من الكتابة في شيء <sup>77</sup> .

وورد في كتاب منهاج الإصابة :وقد تقدم من حذاق الكتاب يعلمون طلابهم بالمشاهدة فقال بعضهم من لم يحسن الاستمداد، وبري القلم، والشق، والقط، وامسك الطومار ،وقسمة حركة اليد حين الكتابة فليس هو من الكتابة في شيء <sup>78</sup> .

وقال عماد الدين بن العفيف :إذا أمد الكاتب فليكن بين أصابعه على صورة إمساكه له حين الكتابة ولا يديره للاستمداد لأن أحسن المذاهب فيه أن يكون من يد الكاتب على صورة وضعه في

<sup>75</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص466.

<sup>75</sup> -نفسه، ص471.

<sup>76</sup> -نفسه، ص470.

<sup>77</sup> -يجي وهيب الجبوري، نفسه، ص295.

<sup>78</sup> -هلال ناجي، منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة للزفناوي، نفسه، ص205.

الكتاب، ويحرك رأس القلم من باطن يديه إلى خارجها، فإنها يمكن معه القلم مقام القلم على نصبته من الأصابع ومتى عدل عن هذا لحقته المشقة في نقل نصبة الأصابع في كل مدة. قال هذا من أكبر ما يحتاج إليه الكاتب لأن هذا هو الذي عليه مدار جودة الخط في مقال وقل ما يدرك أن هذا الفصل إلى العلم الحاذق بمهندسة الخط مع ما يكون معه من الأناة وحسن التأدية<sup>79</sup>.

وقال المقر العلائي: ينبغي للكاتب ألا يكتر الاستمداد بل يمد مدا معتدلا ولا يحرك الليقة من مكانها ولا يعثر بالقلم فإن ذلك عيب عند الكتاب ولا يرد القلم إلى الليقة حتى تستوعب ما فيه من المداد ولا يدخل منه الدواة كثيرا بل إلى حد شقه ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة ليأمن تسويد أنامله وليس ذلك من خصال الكتاب وأما وضع القلم على المدرج فقال أبو علي ابن مقلة فيجب أن يكون أول ما يوضع على المدرج موضع القطعة منكبا<sup>80</sup>.

قال بعض الكتاب: ويتعين على الكاتب أن يتفقد الليقة ويطيّبها بأجود ما يكن فإنها تتخير على طول وأنشد:

متطرف شهدت علي دواته \* إن الفتي لا كان غير ظرف

وكان بعض الكتاب يطيّب دواته ببعض ما عنده من طيب نفسه فسئل عن ذلك فقال: لأننا نكتب به اسم الله واسم نبيه صلي الله عليه وسلم.

وقال آخر ينبغي للكاتب ألا يكتر الاستمداد بل يمد مدا معتدلا ولا يحرك الليقة من مكانها ولا ينثر بالقلم ولا يرد القلم إلى الليقة حتى يستوعب ما فيه من المداد ولا يدخل منه الدواة كثيرا بل إلى حد شقيه ولا يجاوز ذلك إلى آخر الفتحة<sup>81</sup>.

<sup>79</sup> - يحيى وهيب الجبوري، نفسه، 295.

<sup>80</sup> - القلقشندى، نفسه، ج3، ص295.

<sup>81</sup> - هلا ناجي، المرجع السابق، ص202.

## خلاصة:

لقد شرف الله تعالى المداد وتقد ذكرها في واضح كثيرة في المصحف الشريف، فقد أتى في الخبر بأن مداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة فيوضع أحدهما في كفة الميزان والآخر في كفة الأخرى فلا يرجح أحدها على الآخر، فيتجلى لنا القيمة التي يحتلها المداد في الحضارة الإسلامية لذا فقد تفنن الكاتب ببلاد المغرب الإسلامي فتعددت كيفيات عقدها، فتميز المداد المغربي عن غيره من الأمدمة، ولعله من أبرزها المداد الأسود الذي يضرب للحمرة، الذي نجده في جل المخطوطات التي هي محفوظة ببلاد المغرب الإسلامي، واستعمل الكاتب المغربي، مجموعة من الألوان من أبرزها اللون الأحمر، الأصفر والذهبي، الأزرق. كما تميزت الدواة المغربية عن غيرها فتتكون الدواة ببلاد المغرب الإسلامي ففي بلاد المغرب ل يعرف بجهاز الدواة بمفهومه المشرقي، وإنما مترادف مع المحبرة فيطلق على المحبرة ببلاد المغرب الإسلامي بالدواة.

الفصل الثالث

المواد التي يكتب عليها

- تمهيد.

أولاً - مواد الكتابة

ثانياً - دخول الورق للمغرب الإسلامي

ثالثاً - أنواع وأحجام الأوراق

رابعاً - مستلزمات مواد الكتابة.

تمهيد:

اهتم الإنسان بالكتابة ليحفظ أعماله ونشاطاته وافكاره ،فكتب علي مواد مختلفة ومتنوعة ابتداء بالطين لينتهي بالورق الصقيل فقد حضيت مواد الكتابة اهتمام كبير ،خاصة وأنها واكبت عصر الثورة الفكرية والحضارية للدولة الإسلامية من مشرقها إلى مغربها ،والتي استهلكت بكتابة القرآن الكريم ،ويقول القلقشندي : وقد كانت الأمم في ذلك متفاوتة ، فكان أهل الصين يكتبون في ورق يصنعونه من الحشيش و الكأ ، وعنهم أخذ الناس صناعة الورق ، وأهل الهند يكتبون في خرق الحرير الأبيض ، والفرس يكتبون في الجلود المدبوغة من جلود الجواميس و البقر و الغنم و الوحوش ، وكذلك كانوا يكتبون في اللخاف (بالحاء المعجمة): وهي حجارة بيض رقاق، وفي النحاس و الحديد ونحوهما ، وفي عسب النخل (بالسين المهملة): وهي الجريد الذي لا خوص عليه واحدها عسيب ، وفي عظم أكتاف الإبل و الغنم.وعلى هذا الأسلوب كانت العرب لقربهم منهم . واستمر ذلك إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن و العرب على ذلك ، فكانوا يكتبون القرآن حين ينزل و يقرؤه عليهم النبي صلى الله عليه وسلم في اللخاف و العسب <sup>1</sup> .

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال عند جمعه القرآن " فجعلت أتبع القرآن من العسب و اللخاف" . وفي حديث الزهري "قبض رسول صلى الله عليه وسلم و القرآن في العسب" وربما كتب النبي صلى الله عليه وسلم بعض مكاتباته في الأدم كما لإن الجلود ونحوها تقبل الحو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق، فإنه متى محي منه فسد، وأن كشط ظهر كسطه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار، وتعاطاها من قرب وبعد، واستمر الناس على ذلك إلى الآن <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> القلقشندي، نفسه، ج2 نص467.

<sup>2</sup> - نفسه، ص468.

## أولاً مواد الكتابة:

تعددت مواد الكتابة ونستهلها باللوح، فقد نطق القراء بثلاثة أحناس من ذلك :

الأول اللوح. قال تعالى ﴿ **بل هو قرآن مجيد\* نبي لوح محفوظ** ﴾<sup>3</sup>، قرأ العامة بفتح اللام

على أن المراد اللوح واحد الألواح. سمي بذلك لان المعاني تلوح بالكتابة فيه ثم اختلفوا: فقرأ نافع برفع محفوظ غلى أنه نعت للقران في لوح محفوظ و صفه بالحفظ لحفظه عن التغيير و التبديل و التحريف. قال تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر ة إنا له لحافظون" و قرأ الباقر بالجر على نعت اللوح .

قال أبو عبيد: و هو الوجه، لان الآثار الواردة في اللوح المحفوظ تصدق ذلك و هو أم القراء منه نسخ القراءان الكريم و الكتب المترلة و منه تنسخ الملائكة أعمال الخلق . قال ابن عباس : و هو لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء و الأرض و عرضه ما بين المشرق و المغرب و حافته الدر و الياقوت و دفتاه ياقوتة حمراء ة أصله في حجر ملك . و قال أنس : اللوح المحفوظ في جبهة إسرافيل عليه السلام، و قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش

قال ابن عباس : و في صدر اللوح مكتوب "لا إله إلا الله وحده لا شريك له " دينه الإسلام و عبده محمد و رسوله. فمن آمن بالله و صدق بوعده و اتبع رسوله أدخله الجنة . و سمي محفوظا لأن الله تعالى حفظه عن الشياطين ، و قيل : حفظه بما ضمنه

وقيل : اللوح صدر المؤمن، و قرأ يحيى بن معمر في لوح بضم اللام، و هو الهواء. يقال لما بين السماء و الأرض اللوح ، و المعنى أنه شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه. و هو ذو نور و علو و شرف. و قد ورد في القراءان بلفظ الجمع . قال تعالى : "و كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة و تفصيلا لكل شيء " يريد ألواح التوراة . قال الكلبي : كانت زبرجدة خضراء و قال سعيد بن جبير : من ياقوتة . و قال مجاهد : من زمرد اخضر . و قال أبو العالية و الربيع بن أنس . من برد : و قال الحسن : خشب: و قد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم . قال : الألواح التي أنزلت على موسى من سدر الجنة و كان طول كل لوح منها اثنتي عشر ذراعا . و قال وهب بن منبه : من صخرة صماء ألا لها الله له فقطعها بيده ثم قطعها بأصابعه<sup>4</sup> .

<sup>3</sup> - الآيات من 20 إلى 21 من سورة الطارق.

<sup>4</sup> - القلقشندي، نفسه، ج2، ص476.



ولا يزال يستعمل اللوح في المغرب الإسلامي إلى يومنا هذا يستعمل في تدريس القرآن في الزوايا والمدارس القرآنية، (اللوحة رقم 23).

فكتب علي الحجارة والعظام والعشب والكرب والألواح والمهراق والجلود والقراطيس<sup>5</sup>، غير أن مواد الكتابة بالمغرب الإسلامي قبل وصول الورق كانت منحصرة في:

أولا الرق، يقول ياقوت الحموي<sup>6</sup>:

"ويعمل الكاغد الجيد فيها، ويحمل منها إلى سائر بلاد الأندلس"<sup>7</sup>، مروراً بالمغرب ويقول الرحالة المقدسي البشاري عن أهل إفريقية نحو عام 375هـ "وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق اللهم إلا ما كان ينبت من البردي في جزيرة صقلية في ذلك الزمان"<sup>8</sup>.

ويقول حسن حسني عبد الوهاب في مقاله: بلغ أهل إفريقية في صناعة تجهيز الرق وصقله وصبغه أحيانا بألوان مختلفة ما بين أخضر ولا زوردي وأحمر قان، الغاية القصوي في الإتقان والنعمومة حتى صار الرق من السلع التي يتجهز فيها ويرتفع بها إلى جميع آفاق المغرب والأندلس<sup>9</sup>.

ولقد ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُّسْتَوٍ فِيهِ رِقٌّ مُّنَشُورٌ﴾<sup>10</sup>. قال المبرد: هو ما يرقق من الجلود ليكتب فيه. قال المعاني بن أبي اليسار: ومن ثم استبعد حمله على اللوح المحفوظ، والمنشور المبسوط، واختلف في الكتاب المسطور فيه: فقيل اللوح المحفوظ، وقيل القراءان، وقيل ما كتبه الله تعالى لموسى وهو يسمع صرير الأقلام<sup>11</sup>.

<sup>5</sup> تم التكلم عنها في المدخل العام لمزيد من التفصيل أنظر المدخل العام، ص 8-12.

<sup>6</sup> -ياقوت الحموي: عبد الله ياقوت بن عبد الله، الرومي الجنس والمولد الحموي المولى البغدادي الدار الملقب شهاب الدين، أسر من بلاده صغيراً، وابتاعه ببغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي، وجعله في الكتاب، لينتفع به في ضبط تجارته، ولما كبر ياقوت المذكور قرأ شيئاً من النحو واللغة، وشغله مولاه بالأسفار واشتغل بالنسخ بالأجرة، وحصلت له بالمطالعة فوائد، فاشتغل بالنسخ بالأجرة، وحصلت له بالمطالعة فوائد، فألف العديد من المؤلفات من أبرزها معجم البلدان، معجم الأدباء، لمزيد من التفصيل أنظر، ابن خليكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 295.

<sup>7</sup> - ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار الغرب، الإسلامي، 1993، ج 3، ص 235.

<sup>8</sup> - المقدسي، أحسن التفاصيل في معرفة الأقاليم، ص 214.

<sup>9</sup> - أيمن فؤاد السيد، المرجع السابق، ج 2، ص 30.

<sup>10</sup> - الآيات من 1-3 من سورة الطور.

<sup>11</sup> - القلقشندي، نفسه، ج 2، ص 464.

وكانت الكتابة على الرق، فإذا انتهت حاجتهم من المكتوب نحو المداد بغسله ثم يكتبون على الرق ثانية وثالثة<sup>12</sup>، ودامت صناعة الرق في القيروان وإفريقية عموماً في نمو وازدهار دهرًا طويلاً، وقد كتبت عليه المصاحف والصكوك والعقود إلى آخر القرن الثامن للهجرة في حين نجد أن الرق انقطع استعماله في المشرق. (اللوحة رقم-24-)

ويؤخذ الرق من جلود الحيوان، وقد ورد في كتاب (الفهرست) لابن النديم، في كلامه عن الكتب القديمة التي سطرت على الرق، وأفضل أنواع الجلود المستعملة في صناعة الرق جلد الغزلان والمعز والخراف هذ من خلال الوثائق التي وصلتنا<sup>13</sup>، وبقي يستعمل الرق في المغرب لفترات متأخرة، وبرعوا في تجهيز الرق وصقله بالألوان، كما أخذ سكان الأندلس من سكان المغرب صناعة وتجهيز الرق إلى غاية القرن الثامن هجري<sup>14</sup>.

ويرى الدكتور السيد يوسف: بأن الرق يقصد به الطبقة الداخلية الرقيقة من جلد الماعز والغزال ويطلق عليها أحياناً البرجامين، أما البارشمنت فهو نوع من الجلد أكثر سمكا من الرق ويكون في الغالب من جلود العجول الصغيرة، ولكن ليس بمرونة الرق في تقبل الكتابة وهناك ما يسمى بالأديم و القضييم وهما عبارة عن جلود حمراء وبيضاء<sup>15</sup> وقد تقدم ذكرهما.

إن طريقة صناعته قد تطورت بشكل عام، نتيجة تراكم الخبرة في هذا المجال فقد حضر الرق في بادئ الأمر من طبقة الجلد المختارة كلها، في حين استخدمت طبقة الجلد الداخلية فقط في تحضيره في الفترات المتأخرة فيعامل بمادة الشب وإزالة الصوف أو الشعر منه تشطر بواسطة سكين خاصة حادة، الطبقة الخارجية عن طبقة الداخلية، وتشد الثانية على إطار ملائم ثم يدلك جانبيهما بآلة خاصة هلالية الشكل فتزداد شدتها تدريجياً، ثم يرطب بالماء الساخن وتستمر عملية الدلك على الوجهين بالتعاقب بحجر مسامي خاص، ثم يتم تخفيف الجلد بعد ذلك تدريجياً، يكون بعدها صالحاً للإستعمال، وإزالة لون الجلد ضرورية ليكون لونه أبيض وهو ما يعرف بالرق<sup>16</sup>.

<sup>12</sup> - يحيى وهيب الجبوري، نفسه، ص 290.

<sup>13</sup> - المراد بالوثائق التي وصلتنا هي المعرضة في المتاحف الدولية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: متحف اللوفر، متحف الفنون الإسلامية بمصر، وقد نشر بعضها: أنظر مجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، م 1، ج 1، 1965، ص 45.

<sup>14</sup> - عادل الألويسي، نفسه، ص 16.

<sup>15</sup> - مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص 31..

<sup>16</sup> - عادل الألويسي، ص 17-18.

ويري الدكتور أيمن السيد في صنع الرق وذلك عن طريق نزع الشعر من جذوره وإزالة النجاسات الموجودة عليه بإستعمال الجير، أو أية مادة حفظ أخرى ويترك ليجف مع سنده وشده بإطار خشبي، وعملية الشد هذه أثناء عملية الدباغة هي التي تفرق بين الجلد والرق<sup>17</sup>.

والكتابة تتم علي الوجه الأملس أما حجم الرق فيختلف باختلاف طول الحيوان المستمد منه ويتراوح ما بين 82/85.2 سم، ومن خصائصه قدرته علي البقاء،<sup>18</sup> و مع الزمن، قل استعمال الرقوق، و ارتفعت ائمانها بسبب كثرة الطلب عليها و ندرة وجودها، ومن ميزات الرق أنه قابل للإزالة ما عليه من الكتابة إما بالغسيل أو الدلك، و ذلك ما كان يعرف بـ الطرس<sup>19</sup>.

غير أن هذه الأخيرة تعد أيضا من أبرز عيوبه الرق، فيذكر ياقوت الحموي في كتابه عن كتاب شرح سيويوه: "إلا أنه غسله وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مغبا وأخذ شرح سيويوه وجعله في إجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نخاة"<sup>20</sup>.

<sup>17</sup> - أيمن فؤاد السيد، ج1، نفسه، ص17.

<sup>18</sup> - نفسه، ص18.

<sup>19</sup> - محمد ابراهيم السيد، مقدمة الوثائق العربية، القاهرة، 1993، ص7

<sup>20</sup> - ياقوت الحموي، نفسه، ج14، ص79.

## ثانيا: البردي:

عرفه المصريون القدماء، والبردي نبات ينبت في الأراضي الشديدة الرطوبة بديار مصر، في مستنقعات دلتا النيل، فصنعوا منه نوعا من القماش والقوارب، كما صنعوا منه ورقا للكتابة، الذي نحن بصدد دراسته، وكان هذا مما ساعد علي تقدم الفكر والآداب والثقافة القديمة لمدة أربعين قرنا، كما كان بدوره مادة للثقافة الإسلامية مدة ثلاثة قرون، خاصة في كل من مصر والمغرب الإسلامي<sup>21</sup>.

وظلت صناعة ورق البردي في الدولة الإسلامية صناعة مصرية خالصة طوال القرنين الأول والثاني، حتى دخل الورق الصيني في منتصف القرن الثاني، والبردي من الحاصلات التي كانت تنبتها مصر، وهو نبات من فصيلة السعد كان يزرع بين المشاتل، ويتخذ الورق من لبابه وهو لبلب ليقى لرج يقطع إلى شرائح طويلة بعد قشرتها وتوضع الواحدة إلى جانب الأخرى<sup>22</sup>.

تتكون أوراق البرديات من وحدات مترابطة من السكريات الخماسية عبارة عن شبكة من حامض اليورنيك ووحدات من سكريات الجللاكتوز، والأرابينوز، و الرامينوز، وهذه السكريات مصدر عصارة الخلايا "Cell Sap" التي تساعد في التصاق الأوراق عند صنعها يدويا (فردها و كبسها) دون الحاجة إلى استخدام مواد صمغية خارجية كالنشأ والغراء و الراتنجات التي تستخدم في صناعة الأوراق السليلوزية المعروفة لنا<sup>23</sup>.

وقد نوه البيروني بورق البردي المصري وأشاد به قال:

"إن القرطاس معمول بمصر من لب البردي يبرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زماننا (توفي البيروني سنة 440هـ / 1047 م) إذ ليس ينقاد لحك شيء منه و تغييره ببل يفسد به"<sup>24</sup>.

فقد كان يجلب لبلاد المغرب الإسلامي غير أنه لم يستعمل في تدوين التراث المخطوط ببلاد المغرب الإسلامي، وربما يعود هذا لانتشار و منافسة الرق له من جهة، ومن سهولة تلفه من جهة أخرى.

21 - عادل الألويسي، نفسه، ص20.

22 - أيمن فؤاد السيد، نفسه، ص19.

23 - مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص27.

24 - أيمن فؤاد السيد، نفسه، ص20.

الثالث- القرطاس و الصحيفة، وهما بمعنى واحد وهو الكاغد. أما القرطاس، فقال تعالى ﴿ولو

نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾

، قال ابن أبي السيار: القرطاس كاغد يتخذ من بردي مصر، وكل كاغد قرطاس، قال: و الجمهور على كسرها ، وضمها أبو زيد و عكرمة وطلحة ويحيى بن يعمر، والذي حكاه الجوهري عن أبي زيد يخالف ذلك ، فإنه قال فيه قرطس بفتح القاف من غير ألف بعد الراء؛ و المراد بالكاتب في الآية الكريمة المكتوب لا نفس الصحيفة<sup>25</sup>.

وأما الصحيفة، فإنها لم ترد إلا بلفظ الجمع. قال تعالى: "أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم

الذي وفي" وقال جل وعز ﴿إن هذا لفي الصحف \* صحف إبراهيم وموسى﴾<sup>26</sup> وتجمع أيضا على صحائف، وسمى مصحفا لجمعه الصحف<sup>27</sup>. قال الجوهري: وسمى التصحيف تصحيفا للخطأ في الصحيفة<sup>28</sup>.

غير أن تسمية الكاغد لم يحافظ عليها عدا سكان المغرب وحدهم من حافظوا إلى الآن علي

تسمية ورق الكتابة بالكاغد، وجود الرق لم ينح سكان المغرب من إتخاذ الكاغد والكتابة عليه فقد كانا مستعملين معا في وقت واحد<sup>29</sup>، غير أن الرق وجد منافسة شديدة عند ظهور الكاغد وخاصة فيما يتعلق بالكتابات التي تنظم أمور ومعاملات الناس وتوثقها، فأصدر الخليفة هارون الرشيد أمرا ألا يكتب الناس إلا في الكاغد لأن الجلود تقبل الحو والإعادة فتقبل التزوير بخلاف الورق فإنه متى يحى فسد، وان كشط ظهر كسطه<sup>30</sup>.

وقد ذكر الإدريسي الكاغد بقوله: ويعمل بها من الكاغد مالا يوجد له نظير بمعمور الأرض

ويعم المشارق والمغرب<sup>31</sup>.

<sup>25</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص474.

<sup>26</sup> الآيات 18-19 من سورة الأعلى

<sup>27</sup> - نفسه، ص475.

<sup>28</sup> - لمزيد من التفصيل أنظر إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1990، ج5، ص214.

<sup>29</sup> أيمن فؤاد السيد، نفسه، ص31.

<sup>30</sup> - ابن خلدون ، المقدمة، ص410.

<sup>31</sup> -الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص556.

## ثانيا الورق ودخوله للمغرب:

الورق بفتح الراء اسم جنس يقع على القليل والكثير، وواحدة ورقة، وجمعه أوراق، وجمع الورقة ورقات، وبه سمي الرجل الذي يكتب وراقا<sup>32</sup>، وترجع صلة المسلمين بالورق الصيني في البلاد الإسلامية إلى فتح سمرقند سنة 87هـ، حيث كانت صناعة الورق سرا من الأسرار التي حاول الصينيون الإحتفاظ بها لأنفسهم أكثر من خمسة قرون، غير أن العرب عرف الورق الصيني عن طريق الرحالة والتجار الذين أحضروا بعضا منه، واستعملوه في الكتابة، وكان في نطاق ضيق.

وعند فتح المدينة السابقة الذكر انتهت بانتصار المسلمين على أعدائهم، ووقوع عدد كبير من الصينيين في الأسر، وكان من بين هؤلاء الأسري من يتقن صناعة الورق، فعرض عليهم تأسيس مصنع للورق في سمرقند، وأن يعلموا المسلمين أسرار صناعته لقاء اطلاق سراحهم، فما كان عليهم سوى القبول فكان أول مصنع للورق في العالم الإسلامي سنة 133هـ<sup>33</sup>.

كما ينسب الفضل أيضا للخليفة العباسي هارون الرشيد<sup>34</sup>، في إدخال الورق إلى دواوين الدولة ليحل محل الجلود، فلم تلبث صناعة الورق أن انتقلت إلى العلم العربي لتأسس أول مصنع للورق في البلاد الإسلامية العربية ببغداد عاصمة وحاضرة الخلافة العباسية وفي عهده وكان ذلك سنة 180هـ، تحت اشراف الوزير الفضل بن يحيى البرمكي<sup>35</sup>.

<sup>32</sup> -القلقشندی، نفسه، ج2، ص476. لمزيد من التفصيل أنظر: ابن منظور، لسان العرب، نفسه، ج2، ص63.

<sup>33</sup> -عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص27.

<sup>34</sup> -هارون الرشيد: ابن الخليفة المهدي من أم مغربية هو خامس الخفاء العباسيين ولي الحكم سنة 170هـ إلى سنة 193هـ من شيمه أنه كان يطوف متنكرا في الأسواق والمجالس ليعرف ما يقال فيها -أما فترة خلافته فتسمى بالفترة الذهبية وهو العصر العباسي الأول حيث الحضارة والعلم والإزدهار فشخصيته هي شخصية عصر أكثر مما هي شخصية إنسان. لمزيد من التفصيل أنظر: أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، لبنان، دار النهضة العربية، دت، ص74.

<sup>35</sup> -الفضل بن يحيى البرمكي: أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي، كان من أكثرهم كراما مع كرم البرامكة وسعة جودهم وكان أكرم من أخيه جعفر وكان جعفر أبلغ في الرسائل والكتابة منه، وكان هارون الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر، وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة سنة سبع وأربعين ومائة ومولد الفضل بن يحيى سنة ثمان وأربعين، وتوفي بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة. لمزيد من التفصيل أنظر ابن خليكان، وفيات الأعيان، ص557.

وذكر شهاب الدين النويري خصائص صناعة سمرقند بأن الكواغيد التي تصنع بها عطلت قراطيس مصر والشام والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها لأنها أحسن وأنعم وأرق ولا تكون إلا بها وبالصين<sup>36</sup>.

وظلت صناعة الورق منحصرة في العراق وبلاد ما بين النهرين حتى القرن الرابع للهجرة لتنتقل لبلاد الشام، وازدهرت في القرنين الخامس والسادس للهجرة وضل ينافس الورق السمرقندي في جماله وجودته<sup>37</sup>، ثم انتقلت صناعة الورق إلى مصر، غير أنه لم يحظى بالإقبال في بادئ الأمر، وهذا لإنتشار ورق البردي لديهم والذي يعتبرونه إحدى رموز حضارتهم التي لا يمكن التفريط فيها وتركها، غير أن المنافسة الشديدة أجبره المصريين علي التراجع باستعمال البردي ليحل الورق الجديد محله وليقتصر استعمال البردي إلى نهاية القرن العاشر هجري<sup>38</sup>.

فطور المسلمون صناعة الورق وخطوا بها خطوات كبيرة في الإتقان والجودة وأدخلوا عليها بعض التعديلات لم تكن موجودة، ليسمر انتشاره وليدخل المغرب الإسلامي في مرحلة متأخرة وذلك في نهاية القرن الخامس هجري وبداية القرن السادس هجري لينتقل بعدها للأندلس وليتأسس بها مصنع للورق في مدينة شاطبة<sup>39</sup>.

ومن الواضح أن نشر صناعة الورق والإقبال عليه يدل علي المستوى الحضاري لدي الأمة الإسلامية خاصة سهولة الحصول عليه بأسعار زهيدة وبمقدور الفقراء من الكتاب و النساخ الاستفادة منه، وبذا يصبح طريق العلم والمعرفة مفتوحاً لمن يريد، لحفظ المعرفة ونقلها عبر الأجيال

كما يظهر أن الوراقة بدأت تزدهر في فاس منذ أواخر المائة الثالثة الهجرية أيام الإمام الإدريسي يحي الرابع سنة 292- هـ 94/305م-917 فقد أثبت البكري<sup>40</sup> أنه كان ينسخ له عدد ممن الوراقين غير

<sup>36</sup> - شهاب الدين النويري، المصدر السابق، ج1، ص354.

<sup>37</sup> - عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص28.

<sup>38</sup> - نفسه، ص29. أنظر: مصطفى السيد يوسف، صيانة المخطوط علما وعملا، نفسه ص25.

<sup>39</sup> - عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص29.

<sup>40</sup> - لمزيد من التفصيل أنظر البكري، كتاب المغرب، الجزائر، 1887، ص132.

أنه لا يزال لم يعرف اسم واحد منهم ولم يقع العثور على شيء من مستنسخاتهم وقد كانت وراقة المغرب في هذه الفترة دون الخط الأندلس، وكان أهلها أحدق الناس بالوراقة<sup>41</sup>.

وفي هذه الفترة كانت النسخ على الرق لا تزال شائعة في الغرب الإسلامي حيث يلاحظ البشاري أن المغاربة لعهدده كانوا لا يزالون الكتابة على الرق في المصاحف والدفاتر وذلك زمن تأليف كتابة أحسن التقاسيم عام 370هـ/980م<sup>42</sup>.

أما فيما يخص عصر المرابطين فقد وعرف سكان المغرب في هذا العصر صناعة الورق أيام يوسف بن تاشفين حيث كان بفاس 104 معمل للكاغد وهذا يدل على انتشار الكتابة على الورق إلى جانب الرق ففي هذه الفترة كانت مدينة فاس تحتوي بدورها على مركز للوراقة بمفهومها الواسع<sup>43</sup>، ومن أبرز وراقبيها أبي زيد عبد الرحمان بن محمد المعروف بابن صقر، بالإضافة إلى يحيى بن محمد بن عباد اللخمي ومن أهم نسخه التي نسخها كتاب الموطأ للإمام مالك، الحفوظة بالخزانة العامة بالرباط. (اللوحة رقم-25)

غير أن الفترة الموحدية تعتبر العصر الذهبي للوراقة المغربية حيث نبغ وراقون مغاربة مجيدون، وظهر بعض المخرفين للكتب و المدین للتفسير، فأزدهرت صناعة الورق بها، وبعد هذا فإن صناعة الورق ازدهرت في هذا العصر، وكان بفاس وحدها 400 معملا لإنتاج الورق، أيام يعقوب المنصور وابنه غير أنها خربت من جراء الفتن التي اجتاحت المغرب في أواخر هذا العهد وقد كان المغرب والأندلس أهم الطرق التي دخل بها الورق لأوروبا التي لم تعرف بدورها مراكز لإنتاج الورق إلا في أواخر القرن الثالث عشر<sup>44</sup>.

هذا وكانت مدينة سبتة في نفس الفترة تعد طليعة لإنتاج الورق الذي سار ينسب إليها في هذا الصدد أكثر من شاطبة<sup>45</sup>.

41 - محمد المنوني، المرجع السابق، ص 17.

42 - نفسه، ص 18.

43 - نفسه، ص 21.

44 - نفسه، ص 30.

45 - نفسه، ص 32.



ثالثاً أنواع الأوراق:

من أسباب نجاح صناعة الورق وإزدهارها توفر المواد الخام اللازمة لصناعة الورق والتي تتمثل في ألياف وخيوط الكتان ونبات القنب بالإضافة إلى المياه الغزيرة التي تتطلبها صناعة الورق<sup>46</sup>، وبانتشار صناعة الورق أدي إلي تنوع صناعته، فيختلف من منطقة إلي أخرى ومنها ما صنف ونسب إلي الولاية والأمراء الذين صنعت في عهدهم، أو من أمر بها لذا إرتقينا هذا التصنيف:

- 1 -الورق البغدادي: يقول القلقشندي بأنه من أجود الأوراق وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشيته وتناسب أجزائه وقطعه وافر جدا، ولا يستعمل في الغالب في تدوين المصاحف الشريفة، ويقول ربما استعمل في مكاتبات القانات والمكاتب السلطانية<sup>47</sup>.
- 2 -الورق الشامي: وهو بدوره على نوعين، يعرف الأول بالحموى وهو دون القطع والقدر السابق الذكر، ودونه في القدر والذي يعرف بالشامي<sup>48</sup>.
- 3 -الورق السليماني: نسبة إلى سليمان بن راشد الذي كان ناضر بيت المال بخراسان.
- 4 -الورق الجعفري: نسبة لجعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد<sup>49</sup>.
- 5 -الورق المصري: وهو بدوره على نوعين قطع العادة و المنصوري أكبر قطعاً، فقلما يصقل وجهها الورقة، أما العادة فإن فيه ما يصقل وجهها ويسمى في عرف الوراقين المصلوح.
- 6 - العال والوسط: فيه صنف يعرف بالفوى صغير القطع، خشن غليظ خفيف الغرف لا ينفع به الكتابة يتخذ للحلوى والعطر<sup>50</sup>.

<sup>46</sup> -عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص28.

<sup>47</sup> - القلقشندي، نفسه، ج2، ص476

<sup>48</sup> -نفسه، ص476.

<sup>49</sup> -عبد العزيز بن محمد المسفر، نفسه، ص29.

<sup>50</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص477.

2/أحجام الورق:

طور العرب صناعة الورق وأدخلوا عليه أشياء لم تكن موجودة من أبرزها أحجام الورق وألوانه، وتعددت مصادره، واختلفت تسمياته، في بادئ الأمر أستعمل لفظ الطومار، ويقد بها الورقة الكاملة، فقد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتابه القلم والدواة أن الخلفاء لم تنزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان، وذلك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي الطومار وإلى الأمراء من نصف الطومار وإلى العمال والكتاب من ثلث<sup>51</sup>، وإلى التجار من ربع، وإلى الحساب والمساح من سدس، فهذه المقادير الأولى لقطع الورق في القديم الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس.

وبذكر القلقشندي مقادير قطع الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بالديار

المصرية في زمانه وهي تسع مقادير:

- 1 - قطع البغدادي الكامل: عرض درجة عرض البغدادي بكامله، وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري وطول كل وصل من الدرج ذراع ونصف بالذراع المذكور<sup>52</sup> وهو ما يقارب 50 سم عرضاً و75 سم طولاً، وكان يكتب به عهد الخلفاء وبيعاتهم والمكتبات للطبقة العليا من الملوك.
- 2 - قطع البغدادي الناقص عرض درجة دون عرض البغدادي الكامل بأربعة أصابع مطبوقة، ويكتب به للطبقة الثانية من الملوك<sup>53</sup> أي ما يقارب 46 سم عرضاً و75 سم طولاً.
- 3 - قطع الثلثين من الورق المصري: والمراد به ثلثا الطومار من كامل النصوري، وعرض درجة ثلثا ذراع، ومنه تكتب مناشير الأمراء المقدمين، وتقاليد النواب الكبار والوزراء وأكابر القضاة<sup>54</sup> أي ما يقارب 33 سم ط X ع.
- 4 - قطع النصف: المراد به قطع النصف من الطومار المنصوري، وعرض درجة نصف ذراع، ووفيه يكتب مناشير الأمراء ومراسيم الطبقة الثانية من النواب، والمكتبات إلى الطبقة الثانية من الملوك<sup>55</sup>، أي ما يقارب 25 سم ط X ع.

51 - نقلا عن القلقشندي، نفسه، ج6، ص189.

52 القلقشندي، نفسه، ج6، ص189.

53 - نفسه، ص190.

54 - نفسه، ص190.

55 - نفسه، ص191.

- 5 - قطع الثلث والمراد به ثلث قطع المنصوري، وعرض درجة تقدير ثلث ذراع، وفيه تكتب مناشير أمراء العشرات، ومراسيم صغار النواب والمكتبات إلى الطبقة الرابعة من الملوك<sup>56</sup>، أي ما يقارب 17سم.
- 6 - القطع المعروف بالمنصوري عرضه تقدير ربع ذراع، وفيه تكتب مناشير الممالك السلطانية، ومقدمي الحلقة، ومناشير العشرات ببعض الممالك الشامية، وبعض التواقيع، وهو ما يقارب 13سم.
- 7 - القطع الصغير ويقال فيه قطع العادة وعرض درجة تقدير سدس ذراع، وفيه تكتب عامة المكتبات لأهل المملكة وحكامها، والمكتبات إلى الحكام البلاد بالممالك<sup>57</sup>، وهو ما يقارب 9سم.
- 8 - قطع الشامي الكامل عرض درجة عرض الطومار الشامي في طوله وهو قليل الإستعمال، إلا أنه يستعمل في المكتبات<sup>58</sup>.
- 9 - القطع الصغير وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية، وفيه تكتب ملطقات الكتب وبطاقات الحمام<sup>59</sup>.
- أما في البلاد الشامية فكانت مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء على أربعة مقادير من الورق الشامي.
- 1 قطع الشامي الكامل: وهو الذي يكون عرضه عرض الطومار الشامي الكامل في طوله
  - 2 عرض نصف الحموي: عرضه درجة عرض نصف الطومار الحموي، وطوله بطول الطومار
  - 3 قطع العادة من الشامي: وعرض درجة سدس ذراع في طول الطومار أودونه
  - 4 قطع ورق الطير .
- 5-القطع الشاطبي: أما ما يخص أحجام أوراقه فلم تشر المصادر والمراجع التي استندنا بها في بحثنا هذا، فمن خلال دراستنا الميدانية يمكننا القول بأنها هي الأخرى تنوعت بتنوع استعمالاتها، ويعتبر هذا القطع الشائع والمستعمل ببلاد المغرب الإسلامي.

<sup>56</sup> - القلقشندی، نفسه، ج6، ص191.

<sup>57</sup> - نفسه، ص191.

<sup>58</sup> - نفسه، ص191.

<sup>59</sup> - نفسه، ص192.

## رابعاً مستلزمات مواد الكتابة:

1 المنفذ:

وهو آلة تشبه المخرز تتخذ لخرم الورق، وينبغي أن يكون محل الحاجة منها منساويا في الدقة والغلظ، وأعلاه وأسفله سواء لثلا تختلف أثقاب الورق في الضيق والسعة، خلا أن يكون ذبابة دقيقا أسرع وأبلغ في المقصود، وحقمه في النصاب في الطول والغلظ حكم المدية في بري القلم وأكثر ما يحتاج إلى هذه الآلة من الكتاب كتاب الدواوين، كما يمكن أن يحتاج إليها كاتب الإنشاء في بعض أحواله<sup>60</sup>.

## 2 - الملزمة :

قال الجوهري: الملزم بالكسر خشبتان تسد أوساطهما بحديدة تكون مع الصياقلة و الأربارين، وهي آلة تتخذ من النحاس ونحوه ذات ذفتين يلتقيان على رأس المدرج حال الكتابة لمنع الدرج من الرجوع على الكاتب حال الكتابة، ويسمي في بلاد المغرب بمحمل الكتب وكرسي القراءة وعود النساخة، وهو محمل من لوحين تسد أوساطيهما فتفتح ويطوي ثم يوضع عليه الكتاب للإستنساخ أو القراءة ويسند جانبا إلى لوحي الملزم، وللسان الدين ابن الخطيب في وصف ملزم:

ياحسنه من ملزم آثاره لذوي الوراثة أحسن الآثار

وكأما الكراس طرف أشهب شدوا على شفثيه عود زيار

وكأما قلم الكتاب بصفحه مكوى وذاك النفط نفط النار<sup>61</sup>

3- المسطرة: وهي آلة من خشب مستقيمة الجنين يسطر عليها ما يحتاج إلى تسطير من الكتابة

ومتعلقاتها، وأكثر ما يحتاج إليها المذهب<sup>62</sup>، كما تستعمل لتسطير الألواح بالمدارس القرآنية بالمغرب الإسلامي

(اللوحة رقم -- .)

60 - القلقشندی، نفسه، ج2، ص470.

61 - أحمد شوقي بنين، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، ص29.

62 - نفسه، ص472.

## خلاصة:

اهتم الإنسان بالكتابة ليحفظ أعماله وإبداعاته و أفكاره ، فدونها علي مواد مختلفة ومتنوعة التي تختلف وتتنوع بدورها باختلاف المنطقة،فتنوعت وسائل التدوين ببلاد المغرب الإسلامي ،والتي تتجلي من خلال العدد الهائل المحفوظ بالخزائن والزوايا والمتاحف ،غير أنه تميزت الكتابة في بلاد المغرب الإسلامي بالكتابة علي الرق دون غيره ،ويرجع هذا لسهولة اقتنائه ،كما استعملوا الكاغد والتي لازال محافظا على مدلوله إلى يومنا هذا،والذي انتشر في جميع أقطار الدولة الإسلامية بأمر من الخليفة هارون الرشيد وهذا لأن الجلود تقبل المحو و الإعادة بينما الكاغد لا يقبل المحو فإن كشد فسد وظهر كشطه .

هذا بالإضافة للوح الذي يعتبر من أهم وسائل التدوين الذي كان يستعمل في الكتاتيب والمدارس القرآنية ،والتي تميز بها بلاد المغرب الإسلامي عن غيره من البلاد الإسلامية .

أما الورق فلم يدخل بلاد المغرب الإسلامي إلا في القرن الخامس للهجرة كما تشير إليها المصادر ،رغم استعماله في بلاد المشرق منذ القرن الثاني للهجرة،ويعتبر العصر الموحدى فترة ازدهار الوراقة فكان بفاس وحدها 400 معمل للورق مما يدل على النشاط الفكري.

أما فيما يخص أحجام الأوراق لم تشر المصادر والمراجع التي استندنا بها في بحثنا هذا بما يعرف بالقطع المغربي ببلاد المغرب الإسلامي ،فمن خلال دراستنا الميدانية يمكننا القول بأنها هي الأخرى تنوعت بتنوع استعمالاتها.

# أساليب تجميل المخطوط

- تمهيد.

أولاً - الترميل: 1/المرملة

2/الرمل.

ثانياً - التسفير: 1/المنشأة.

5/البشر.

6/ تركيب الجلد.

2/اللواصق.

7/الحبيك.

3/الجلود.

8/ التخزيم.

4/التبطين.

ثالثاً - الأدوات المستعملة في التسفير.

تمهيد:

تعتبر الكتابة علي الرق أو الكاغد أو الورق عملا فنيا ، فلا بد من إلباسه أحسن حلله، لذا اهتم

المسلمون بتجميل المصاحف و المؤلفات، ووضعها في أحسن حللها،لذا تنوعت موادها واختلفت تقنياتها،والتي تتباين حسب فترات الزمنية .

أما عناصر الزخرفة فإن كتاب ونساخ بلاد المغرب الإسلامي ،قد استعملوا في زخارفهم نوعين من الزخارف ،العنصر النباتي ،والعنصر الهندسي .

اتخذ الفنان المغربي من النباتات عناصر زخرفية بتجريدها وابعادها عن صورتها الأصلية فكانت الأوراق والفروع والأخضان خطوط زخرفية منحنية أو ملتفة يتصل بعضها ببعض مكونة أشكلا لا حدود لها لتعطي مظهرا خارجيا يجلب الأنظار<sup>1</sup> .

أما العنصر الهندسي ،فأستعمل أهم عناصره والمتمثلة في المربع والدائرة ،إذ في رسمها تشكل أشكال عديدة ولا منتهية ،وهذا ملأ الفراغ ،استعمل هذا النوع من الزخرفة في التجليد ،فمن خلال الدراسات الميدانية نجد أن الفنان المغربي قد ركز في زخرفته للوجه الخارجي للكتاب بهته الزخارف .

كما لا يمكننا أن ننفي عدم مزج العنصرين السابقين للذكر في الزخارف ،فإننا نجد في العديد من المخطوطات المحفوظة بالخزائن ،استعمال العنصر النباتي والهندسي خاصة في حواشي المصاحف على شكل دائري أو بيضوي .(اللوحة رقم-26)

ولزخرفة المخطوط لا بد من استعمال بعض المواد،والتي تتجلي فيما يلي:

<sup>1</sup> -حسن جهاد الحساني ،زخرفة وتذهيب المصاحف عبر القرون،مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة ،العدد 1430،32.



أولا الترميل:

وتتكون بدورها علي ثلاثة مكونات وهي:

**1/ المرملة:**

و إسمها القديم المتربة، جعلها آلة للتراب ، إذ كان هو الذي يترب به الكتب و تشتمل بدورها

على جزئين :

الأول: الظرف الذي يجعل فيه الرمل ، و هو المسمى بذلك ويكون من جنس الدواة إن كانت الدواة نحاسا ، أو من النحاس و نحوه إن كانت خشبا على حسب ما يختاره رب الدواة. ومحلها من الدواة ما يلي الكاتب مما بين المحبرة و باطن الدواة مما يقابل المنشأة ، و يكون في فمها شبك يمنع من وصول الرمل الخشن إلى باطنها<sup>2</sup>.

كما يمكن أن يتخذ مرملة أخرى أكبر من ذلك تكون في باطن الدواة لاحتمال أن تضيق تلك

عن الكفاية لصغرها . و أرباب الرياسة من الوزراء و الأمراء ونحوهم يتخذون مرملة كبيرة تقارب حبة الرانج، لها عنق في أعلاها ، في الغالب من جنس الدواة و نحاس و نحوه، وربما اتخذت من الخشب لقضاة الحكام و نحوه<sup>3</sup>.

ويقول القاضي شهاب الدين ابن بنت الأعز في هذا السياق:

ظريفة الشكل ة التمثال و قد صنعت \*\* تحكي العروس ولكن ليس تغتلم

كأنها من ذوي الألباب خاشعة \*\* تبكي الدماء على ما سطر القلم<sup>4</sup>

<sup>2</sup> القلقشندی، نفسه، ج2، ص468.

<sup>3</sup> - القلوسي، نفسه، ص84.

<sup>4</sup> - نفسه، ص، ج2، ص469.

كما يطلق عليها أيضا المتربة ، و في ذلك يقول الوجيه المنامي :  
يا مادحا أمرا ولم يأتته \* و لم ينل منه ولا جربه  
ولا تغبط الكتابة في حاله \* فإنه المسكين ذو المتربة  
**2/الرمل:**

قام الكتاب بإختيار الرمل الأحمر دون غيره لأنه يكسو الخط الأسود من البهجة مالا يكسوه  
غيره ،لأنه يكسوه الخط الأسود من البهجة مالا يكسو غيره من أصناف الرمل و خيره ما كان دقيقا.  
و هو بدوره على أنواع:  
**النوع الأول:**

ما يؤتى به الحبل الأحمر الملاصق للحبل المقطم من الجهة الشرقية و هو أكثر الأنواع و أعممها وجودا  
،ويجلب من الأراضي المصرية.  
**النوع الثاني :**

يؤتى به من الواحات و هو رمل متحجر شديد الحمرة .  
**النوع الثالث:**

يؤتى به من جزيرة ببحر القلزم من نواحي الطور و هو رمل دقيق أصفر اللون قريب من الزعفران و له  
بهجة على الخط إلا أنه عزيز الوجود في الأراضي المصرية ،ويوجد بكثرة في صحراء المغرب الإسلامي.  
النوع الرابع -رمل بين الحمرة و الصفرة به شذور بصاصة يخالها الناظر شذور الذهب و هو عزيز الوجود  
جدا و به يرمل الملوك و من شباهم<sup>5</sup>.

**3/المصقلة:** و هي التي يصقل بها الذهب بعد الكتابة و هي من آلات الدواة

<sup>5</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص469.

## ثانياً تفسير الكتب:

كان لسكان المغرب و الأندلس و افريقية الشمالية بهذه الصناعة اهتمام كبير وعناية تامة، فبلغت إلى غاية الكمال من التحسين و التنجيد، وأصبحت ذات طابع خاص يميزها حتى عن شقيقتها في المشرق. ولعل أبلغ ما يصور الرقى الذي وصلت إليه هذه الصناعة في المغرب هو ما عمله الخليفة الموحدى الأول عبد المؤمن بن علي<sup>6</sup> (524-558) في تحلية المصحف العثماني وكان قد وصله هدية من أهل قرطبة، فاحتفل لقبوله بمراكش احتفالاً عظيماً، وصنع له خزانة و أغشية محلاة بالذهب والفضة ومرصعة بأنواع الياقوت و الحجاره الكريمة مما لا كفاه له في الحسن و القيمة، وقد قال الوزير الفيلسوف أبو بكر بن طفيل في رسالته الطويلة التي وصف فيها هذا العمل ما يلي: "فحشروا له الصناع المتقين ممن كان بحضرتهم العلية وسائر بلادهم القريبة و القصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة، ومهرة وكل طائفة من المهندسين والصواعين والنظاميين والحلائين و النقاشيين و المرصعين و النجارين و الزواقين و الرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين<sup>7</sup>.

## 1/ المنشأة :

و تستعمل على شيئين بدورها:

الأول- الظرف و حاله كحال المرملة في الهيئة و من الدواة من جهة الغطاء إلا أنه لا شبك في فمه ليتوصل إلى اللصاق و ربما اتخذ بعض ظرفاء الكتاب منشأة أخرى غير التي في صدر الدواة من رصاص على هيئة

<sup>6</sup> عبد المؤمن بن علي: هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي الذي قام بأمره محمد بن تومرت المعروف بالمهدي، كان والده وسطاً في قومه، وكان صانعاً في عمل، وأول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة، وانتقل بعد ذلك إلى مراكش وحاصرها أحد عشر شهراً ثم ملكها، وكان أخذه لها في أوائل سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، واستوثق له الأمر، وامتد ملكه إلى المغرب الأقصى والأدنى وبلاد إفريقية وكثير من بلاد الأندلس لمزيد من التفصيل أنظر: ابن خليكان وفيات الأعيان، ص453.

<sup>7</sup>- المراكشي محمد بن عذارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، قسم الموحدين ، مطبعة بريل ، لندن ، 1948، 124. وأنظر: عبد الملك ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق عبد الهادي تازي لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص100.

حق لطيف و يجعلها في باطن الدواة كالمرملة المتوسطة فإن اللصاق قد يتغير بمكثته في النحاس بخلاف

الرصاص<sup>8</sup>.

الثاني- اللصاق و هو على نوعين : أحدهما النشا المتخذ من البر و طريقه ان يطبخ على النار كما يطبخ

للقمماش إلا أنه أشد منه ثم يجعل في المنشأة و هو الذي يستعمله كتاب الأنشاء و لا يعولون على غيره

لسرعة اللصاق به و موافقة لونه للورق في نصاعة البياض و الثاني المتخذ من الكثيراء و هو أن تبل الكثيراء

بالماء حتى تصير في قوام اللصاق ثم تجعل في المنشأة. و كثيرا ما يستعمله كتاب الديونة وهو سريع التغيير إلى

الخضرة ولا يسرع اللصاق به و ينبغي أن يستعمل في اللصاق في الجملة المارود و الكافور لتطيب رائحته<sup>9</sup>.

## 2/ اللواصق النشوية :

1-2/النشأ: من المواد التي تدخل في تركيب المخطوطات كلاصق للأوراق و الملازم و كعوب

الكتب المخطوطة وقد يستخدم أيضا في عمليات الترميم المختلفة داخل المخطوط، وحيث أن النشأ مركب

معقد من الجلوكوز فهناك بعض الميكروبات المتخصصة في تحليله والتغذي على مكوناته<sup>10</sup>.

لذا يجب علينا التعرف على تركيبه و كيفية تحلله بالكائنات الدقيقة حتى يمكن تفادي أو

تجنب هذا التحلل حفاظا على المخطوط و النشأ من الناحية الكيماوية عبارة عن مركب معقد من

الجلوكوز "polymer of glucose" وهو مركب من جزئين هما الأميلوز و الأميلوبكتين.

الأميلوز مكون من سلسلة مستقيمة من الجلوكوز تتحد مع بعضها برابطة

"a-glycosidic linkage" أما الأميلوبكتين يحتوي على سلسلة مستقيمة وأخرى متفرعة من نوع

<sup>8</sup> -القلقشندي، نفسه، ج2، ص467.

<sup>9</sup> نفسه، ص468

<sup>10</sup> -مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص28.

"a-1.6 glycosidiclinkage" وجزئي النشا كبير جدا حيث تبلغ عدد وحدات الجلوكوز فيه حوالي 200-300 وحدة في الأميلوز وأكثر من ذلك في الأميلو بكتين<sup>11</sup>.

## 1/2 تحلل النشا:

يعتبر النشا من أسرع المواد الكربوهيدراتية تحللا فهو يلي السكريات البسيطة في سرعة التحلل لذلك تعتبر أعداد الميكروبات المحللة للنشا أكثر كثيرا من تلك القادرة على تحليل غيره من المواد الكربوهيدراتية، فالجلوكوز الناتج من التحلل هو المصدر الغذائي للمكروبات المحللة<sup>12</sup> والتي بدورها تعد احدي اسباب تلف المخطوط.

## 2/2 اللواصق الغروية:

هذا النوع من الغراء يستخدم مع الجلود ومشتقاتها من رق وبارشمنت وغيرها حيث يتميز بالمرونة وعدم التصلب بعد الجفاف ومن أكثر اللواصق الغروية المستخدمة مع المنسوخات الجلدية الغراء الحيواني Animal glue الذي يستخرج من عظام الحيوانات الصغيرة على شكل مستحلب Jelly لأغراض ترميم و صيانة الرقوق و البارشمنت وهناك نوع آخر من الغراء الحيواني يعرف: Comet Glue ويستخدم في طلاء الأغلفة و تحلية الجلود على البارد لذلك يفضل الـ Camet glue عن الـ animal glue حيث يمكن استخدامه على البارد وهذا يساعد على تجنب استخدام الحرارة مع مواد المخطوطات، ويعد مطابق لها من حيث التركيبة<sup>13</sup>.

ويقول الشيخ بكر بن ابراهيم الإشبيلي: بأن الأخرية مارق منها كان ألصق للكاغد، إلا أني رأيت أكثر المسفرين من بلدي يغرزون بالابر حمة و بالدرمك، وبالذقيق الأحمر ، هذا كله غير مستقيم

<sup>11</sup> -مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص28.

<sup>12</sup> -نفسه، ص29.

<sup>13</sup> -مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص33.

والنشأ أصلح من هذا كله لأنه ألطف جسما ، ومارق من الأخرية فهو ألصق لا محالة ، وهو لهم أحوط لو علموه قدره ، فالصواب أن لا يستعمل غيره لما قد ذكرته ، ومن حسن النظر في طبخه أيضا أن يطبخ بنقيع الإفستيين أو بنقيع أصول العلقم أو الصبر أو ما شاكل هذه الأشياء التي يقطع عضيرها وعفوصتها ما يتكون في الكتاب ن الأرضة في الكتب<sup>14</sup> .

. وذلك أن السفر إذا كمل بالتفسير ضرورة سواء كان الغراء مشوبا أو غير مشوب بما وصفته من الاضافة إليه لأن أصل هذه فإذا فتح الكتاب لم ينفصل. (اللوحة رقم -28 )

أما العمل في الأزرة والغرا:

فعمل الأزرة فلا يصل لمعرفة إل بالمشاهدة، وأما الغرا فالحكم فيها أن تكون من خواص الجلد تبشر بشرا رقيقا معتدلا ثم تقيد وتلصق ، وبعض المسفرين يقرونها مكان التغيير وهو خطأ لأنها تأتي شديدة ، ومن حكمها أن تكون ملتطية ثم تحطها بالخط وتقصها بالمقراض على طريق الحط الذي يكون فيها ، هذا وجه العمل فيها<sup>15</sup>. (اللوحة رقم -29 - )

### 3- الجلود :

استخدم الإنسان جلود الحيوانات في أغراض الحياة المختلفة ، والتي لازالت تستعمل ليومنا هذا كتغليف الكتب المطبوعة و المخطوطة، إلا أن هذه الجلود لا تستخدم مباشرة لهذا الغرض بل يلزم أن تمر بعدة عمليات متتالية لتحويلها من جلود خام إلى جلود صالحة للاستخدام، وتعرف هذه العمليات "بدباغة الجلود" أو عمليات تصنيع الجلود الخام وتعتمد دباغة الجلود على استخدام بعض المواد الكيميائية مثل التانين **tannin** ومحلول الشب و الملح بنسبة (1:12) هذا ويمكن أيضا استخدام الألددهيدات لإنتاج

<sup>14</sup> - بكر بن ابراهيم الإشبيلي ، كتاب التيسير في صناعة التفسير، نفسه، ص12.

<sup>15</sup> - بكر بن ابراهيم الإشبيلي ، نفسه، ص34.

الجلود المدبوغة ناصعة البياض. وعادة يلي دباغة الجلود عمليات تحسين مظهرها وتنعيمها فيما يعرف  
بتشطيب الجلود<sup>16</sup>.

1/3 صناعة الجلود:

وتعرف بالدباغة<sup>17</sup> والتي تتلخص في الخطوات التالية:

أولاً: إزالة الشعر من الجلد، وذلك بكشط الشعر بالسكين، وتنظيفه من اللحم الزائد، وتكون معالجته بمواد  
قاعدية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر: الجير الحي والمطفأ- النورة<sup>18</sup>.

ثانياً تشطيب الجلود:

ويقصد بتشطيب الجلود العمليات التي تجري لتحسين مظهر الجلود المدبوغة ويتم ذلك بالترتيب التالي:

- 1- التلوين: ويقصد به تلوين سطح الجلد بالمواد الصابغة حسب اللون المطلوب.
- 2- الصبغ: ويقصد به صبغ الجلد إلى أعماق يختلف مداها حسب نوع الجلد (أبقار- أغنام - معز).
- 3- تحلية السطح: وتتم هذه العملية باستخدام أدوات حفر معدنية.
- 4- صقل سطح الجلد: وذلك بغرض إكساب الجلد لمعانا وبريقا وتتم هذه العملية بكبس الجلد بين لوحين  
معدنين مصقولين ساخين إلى درجة الحرارة المناسبة.

5- طلاء الجلد بالمينا: **Enamelling**

6- صنفرة السطح الخلفي للجلد: ويقصد به السطح الذي كان ملاصقا لجسم الحيوان (مصدر الجلدي)  
ويهدف ذلك إلى تنعيم هذا السطح.

7- صنفرة السطح الأمامي للجلود: وتجري عملية الصنفرة بغرض إكساب هذا السطح مظهرا مخمليا

كالقטיפه<sup>19</sup>.

<sup>16</sup> -مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص32.

<sup>17</sup> -الدباغة عملية كيميائية بيولوجية تتم بمعاملة جلد الحيوان بمواد كيميائية لتكسب الجلد خاصية معينة يصبح بواسكتها صالحا  
للكتابة والإستعمال على حسب الحاجة.

<sup>18</sup> - عادل الألوسي، نفسه، ص18.

<sup>19</sup> - مصطفى السيد يوسف، نفسه، ص33.

## 4/ التبطين:

حكمه أن يعمل من ثلاث ورقات على قدر السفر ثم تركبه عليه بعد ما يببس، وبعد تركيبه يجلب في التخت ويشد عليه الملزم ويترك فيه بقدر ما يدري أنه التصق، ثم يجلب وينظر ما تنفط منه وتطرقة بالثقل فإذا يبس على السفر لصاقيه يسوى بزائد خيط عليه لا بد من ذلك لأن في ذلك وجهة يرها الكاتب، وذلك أن السفر إذا سوى تبطينه على قده لا يزيد عليه شيئاً فإنه إذا قدم ينقبض لا محالة و تنقص الكسوة عن السفر وهكذا هي أعمال أهل المشرق بالأندلس و بالعدوة، وفيه عيب من وجهه وهي أن تلقى الكسوة معتدلة مع السفر والحبك مرتفع عليه فيأتي العوار في قطع الجلد على الحبك وإنما إذا سويته كما ذكرت لك أولاً فإن الجلد يأتي إذا قطع على الحبك في خط الإستواء مع التبطين<sup>20</sup>.

و لقد ادرج المجلدون علي أن يبطنوا كتبهم من الداخل بالبردي أو الرق أو الورق أو من الكتان أو من الحرير، فلقد تفننوا في تسفير الكتب<sup>21</sup>.

و في هذه الصنعة إمام ظاهر مبرز قد سار ذكره في المشرق و المغرب مسير الشمس وهو

ابن عبدون ، وغيره من المسفرين لا يبالي بهذا القدر ويبطنه في كل حال سواء كانت البطائن من الجلد أو من غيره و العلة فيه إذا بطن مثل العلة في الكسوة وما يحدث فيها من النقائص و التقبض بالقدم إذا سوى التبطين على قدر السفر إذ الحكم في الأذن أن تكون مطبوعة على السفر حتى لا يحتاج إلى عروة ولا زر تزر به<sup>22</sup>.

<sup>20</sup> - بكر بن ابراهيم الإشبيلي، نفسه، ص15.

<sup>21</sup> - عبد الستار الحلوجي، المخطوط العربي، السعودية، مكتبة المصباح، ط1989، ص2، ص241.

<sup>22</sup> - نفسه، ص16.



## 5/البشر:

إذا قطعت الرقعة من الجلد وتريد أن تبشرها فالعمل أن تبشر أطرافها أولاً ثم تبشر وسطها بعد ذلك بطول الجلد لا بطول الرقعة إن كانت الرقعة مقطوعة على عرض الجلد لا على طولها، فإن كانت مقطوعة على الطول فالعمل فيها ما ذكرته لأنه أحسن ثم تعيد ذلك البشر كيفما شئت بالطول أو بالعرض ليلا يكون موضع قد بلغت فيه وموضع قد لم تبلغ في بشره، ثم تأخذ السفر و تبشر الطرر وتسويها بالمقدة وحينئذ تتركب الكسوة على السفر، ورأيت بعض المسافرين يبشرون الكسوة ويركبونها على السفر وحينئذ ينظرون في تسوية الطرر وبشرها ويجعلون المسطرة على الطرة بطول السفر والسفر على اللوح ويجرون المقدة على ما فاض على المسطرة من الجلد ويقطعونها، والعمل الأول أصح ، وقد نفعل أنا هذا وهذا إلا أنه يتمكن فيما حكيته من هذا العمل المتأخر أن يبلغ في بشر الأطراف ولا بد أن تبقى فيها خشونة ولا سيما إن كانت البطاين من الجلد فحكم الطرر أن تلتصق حتى لا يظهر إصاقها من رقة البشر وهذا العمل لا يتمكن إلا بالعمل الأول السالف للذكر، فإذا كسوت الكتاب وجئت تقطع الجلد عند المفتول فإنك تقطعه على الطرف المفتول ويكون القطع محاييا ييسيرا<sup>23</sup> (اللوحة رقم -29-)

<sup>23</sup> - بكر بن ابراهيم الإشبيلي، نفسه، ص24.

## 6/ تركيب الجلد:

إذا بشرت الرقعة ومددتها وأخرجت الرخو الذي يكون فيها تجعل السفر عليها و تحوق حوله و تأخذ قده في الرقعة تسوي بزائد على التحويق بمقدار الطرة التي تنقلب على داخل الكتاب و تبشرها كما تقدم بشرا رقيقا مستويا وتسوى أطرافها بالمقدمة كما وصفت لك في باب البشر وتكسو الكتاب، فإذا جئت إلى صدر الكتاب وهو ما بين الاذن و التبطين فتتظر بطاين السفر الداخلة فإن كانت من الجلد فلا تجعل في ذلك الذي حددته لك تبطينا وتلصق الجلد وإن كانت البطاين من غير الجلد تبطن ذلك الموضع ضرورة وهذا أخلصه عن الذي أخذت<sup>24</sup> . (اللوحة رقم-30-)

## 7/ التسوية:

حكم التسوية أن تأخذ اضبارة من الكاغد وتعديل طرفها مع السفر على خط الإستواء ثم الترميم على اخر الاضبارة في مقدم السفر القدر الذي تقطعه ، تفعل ذلك في أول السفر وفي اخره ثم تسويه ، فإذا سويت أخذت بالمقدمة ما ثنى تحت السكين في القطع ثم تجري عليها البركلم وهو الحجر الذي تعدل به التسوية في ذاتها ثم تحل السفر وتطوى أول ورقة منه وتعديل حرفها المسوى مع الحرف الذي كان لك قانونا في تعديل الاضبارة وهو حرف القفا وتكسرها على النصف ثم ترشم القدر الذي تريد أن تقطعه من رأس المسطرة ومن أسفلها وتفتحها وتشد السفر وتسوى على حد الرشمتا من أعلى السفر ومن أسفله وهذا أصل في التسوية وفي التخفيض ، وبعض المسفرين يقيسون بالضابط و بالقرطوبون وهذا العمل أصح وأقرب<sup>25</sup> . (اللوحة رقم-31-)

24 - بكر بن ابراهيم الإشبيلي، نفسه، ص24.

25 - نفسه، ص18.

## 8/ الحبك:

حكم الحبك أن يعمل له مفتول من الجلد على قدر السفر ، إن كان فطيرا كان المفتول حلوا وبحسب ما يكون السفر من الضخامة يكون المفتول وتشد الخيط عليه ثم تعيد الإبرة بالخيط في أول كرامة وذلك لتشبيتها بحسب أنها أول وتصرف الكتاب في فتحه متى نظر عليها ثم تأخذ في الثالثة ولا تزال تستمر بالأخذ واحدة بعد واحدة حتى تنتهي إلى آخر الكرايس فتأخذ في الأخيرة مرتين مثل ما فعلته في الأولى لأنها أيضا طرف، وكثير ما يقع النقص في السفر من إما أولا وإما آخر ، ثم تحل عليه بالحرير ويسمى ما فعلت أولا قبل الحرير بالخيط التشبيك ، وحكمه أن تأخذ في وسط الكرايس على بعد لكي لا تزبر الكرايس فتحقق المراد بها<sup>26</sup>. (اللوحة رقم-32-)

## 9/ التخزيم :

حكمه أن تعدله خيوطا معتدلة مفتولة مقيدة ، ثم تأخذ السفر بعد أن تلزم كرايسه وتطرقها من اعوجاج يكون فيها، ثم تعدل الكرايس من ناحية رأس المسطرة إن كانت المسطرة نتفقة معتدلة من ناحية رأس الكتاب ، هذا أصله ، ثم بعد ذلك تنظر هل يختلف القالب أولا فإن اختلف القالب والتفتت المسطرة في التعديل كما ذكرت لك ، فحكمه ما وصفته من تعديل الاسطار، وإن اختلفت المسطرة واتفق القالب فلا ملام على المسفر في هذا كله ، إلا إن اتفقت المسطرة واختلفت القالب فإنك ترجع إلى نظر الأسطار في التعديل<sup>27</sup>. (اللوحة رقم-33-)

<sup>26</sup> - بكر بن ابراهيم الإشبيلي، نفسه، ص25

<sup>27</sup> - نفسه، ص14.

## 10/باب التقفية:

حكم التقفية أن تشد السفر في الملزم ، ثم ترفع الكراريس بالإشفي وقد يستعمل لرفعها جديدة، ولهذا قلنا إن التخزيم إنما يكون راحيا بسبب رفع الكراريس ،ولو كان غير راح لم يكن رفع الكراريس كما ذكرنا ، ثم تقب القفا وهذا أصل في التقفية أعنى التقبيب، وإنما يظهر عور هذا بالطول والقدم وذلك أن السفر إذا كانت قفاه مسطحا وقدام فإنه يفرق صدر الكتاب و يتجوف قفاه ، وهذا أعر شيء، وإن كان القفا مقببا وقدام الكتاب برز أيضا صدره لأن التسفير لا بد على قدمه أن تبرز كراريسه و يتحلل فإن كان ذلك فإنما يبرز منه ما تقب ، ويقى القفا مسطحا لا شيء يشينه<sup>28</sup> . (اللوحة رقم -34-)

وتعتبر هته الصنعة من إحدي الصنائع التي سادت بلاد المغرب الإسلامي وانتشرت في جميع أقطاره، والتي تفنن بها المجلد المغربي بإبتكاراته حتي وصل بهته الصناعة لدرجة عالية من الأصالة الفنية ،فأصبح المجلد المغربي القدوة التي يقتدي بها الغربيون في تسفير كتبهم وذلك من خلال النماذج التي تأثروا بها<sup>29</sup>، خاصة با يعرف باللسان وهذا للحفاظ على أوراق الكتاب ،ويعد من إحدي اللمسات المغربية التي طرأت على التسفير.

وهكذا يمكننا القول بأن فن التجليد ببلاد المغرب الإسلامي كان فنا رائدا ،وأن المجلد المغربي استطاع النهوض بهذا الفن وتطويره على مر السنين ،تاركا ورائه بصماته الواضحة عليها ،والتي تبدوا جليا وذلك من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في خزائن الجنوب الجزائري ،والتي لا تزال تسارع الزمن من أجل البقاء .

<sup>28</sup> - بكر بن ابراهيم الإشبيلي، نفسه، ص15.

<sup>29</sup> - عبد الستار الحلوشي، نفسه، ص245.

## ثالثاً أدوات التسفير:

يحتاج المسفر من الماعون الذي لا بد منه : المقراض والمقدة والملزم وحجر المسن وحديدة قوية مهيئة لشد الملزم وحله، ولا بد له من ملزم مفرد يختص بالتسوية فقط و الإسفى والمحط و الاترة عند حبكة المصاحف الملوحة ، ويحتاج الثقيل ويسمى الخفيف ، ومدلكا بما يدلك البطاين، ويحل الزعفران أيضا عند صبغ البطاين، وبعض المسفرين يدلكونها بكرة من خشب مهيئة لهذا النوع، وقد يدلكونها بغير النوع أيضا ولا بد له من إسفى رقيق لخرز الأقربة وغيرها أن كان المسفر ممن يخرز ، وكذلك يحتاج سكيناً للتسوية ، وأهل المشرق لا يسوون إلا بمقددة مهللة طويلة بين تهليلها وقصاها مقدار السير أو أقل ، وفي التسوية بها تعب، وتسوية السكين إذا أحكمت أقرب وأسهل ، ويحتاج لو حين فيما يتخت الأسفار حين تبطينها ، ولا بد من الرخامة وهي قطب هذه الصنعة ، ويحتاج منشار وملمسة ومضلفا ومثقبا بما يحاول ألواح المصاحف ، لأن من حكم المسفر أن لا يلجأ لأحد من هذه الأشياء ، ولا بد من المطرقة والمقطع بما يسمر الحيلة في المصاحف وبما يقلعها أيضا من الألواح البوالي . (اللوحة رقم-35-)

ومما يحتاج إليه أيضا حديد النقش ، الملمسة ، ويقال لها أيضا المصقلة والمشطب والركمن والطريقين واللوزة والعشر وعشر لتزول الذهب منقوش الوسط أو غير منقوش ، ومجوابا لقطع الذهب ، و صفيحة ينقش عليه<sup>30</sup> .

ويحتاج من الطابع المشعار وطعمته والضربة والقمحة واللمليمات والسفط والمربعة والعقدة وظهر القلبق وكلها أسماء حديد، وما يحتاجه أيضا القبطال وهي المسطرة وضابطا وحجر البركان وهو الذي تعدل به التسوية ، وثلاثة أقلام من العود مخروطة لعمل الجمع<sup>31</sup> .

<sup>30</sup> - بكر الإشبيلي، نفسه، ص39.

<sup>31</sup> نفسه، ص40.

ويقول المعز بن باديس<sup>32</sup> في أدوات التجليد وهي معرفة البلاطة والمسنة والشفرة والشفاء والمقص والكازن والإبر والسيف والمعصرة والملازم والمساطر والبياكير فأما البلاطة فينبغي أن تكون من الرخام الأبيض والأسود والجيد أو غيره، وتكون صحيحة الوجه تمر عليها مسطرة واحدة ليصح عليها البشر والتجليد.

أما المسنة فينبغي أن يكون معتدل الوجه، صحيح، ولا ينبغي أن يكون لنا فتحفره الحديد، ولا صلبا فيضر بالحديد .

أما الشفرة فينبغي لها أن تكون حديدا جيدا غير لين ولا صلبة، وأن يكون مقدارها في الثقل والخفة على قدر يد الصانع، وهو يعمل في اللصاق

والمقص يكون معتدلا جيد الحديد، ليقطع الجلد، وغيره، والأبر صنفين، فمنها ما يصلح للحزم ومنها مما يصلح للجبك فتكون الأولى تامة قليلة رقيقة البدن، أو الأخرى فتكون دونها في الطول والرقة.

والسيف يجب أن يكون طوله عشرين إلى مادن ذلك ويكون جيد لعرض، ونقي البدن، جيد السقي .

أما المعصرة فيجب أن تكون أطول من الكتاب وأن يكون الكتاب في وسط المعصرة وذلك أخف على

الصانع وأسلم له عند المسح، وتكون جيدة العرض ومسطرة الرسم فيجب أن تكون طويلة جيدة الجسم، لا ثخينة ولا رقيقة .

<sup>32</sup> - المعز بن باديس، نفسه، ص98.

## الخلاصة:

من خلال ما سبق يمكننا القول بأن الفنان المغربي اهتم بالتجليد وزخرفة الكتاب المخطوط والتي تتجلي من خلال المخطوطات المحفوظة بالخزائن و الزوايا .

ولعله من أبرز المراحل التي تعتبر مرحلة انطلاق لفن التجليد في العصر الموحي عند قيام عبد المؤمن بن علي بتحلية المصحف الشريف الذي يعرف بمصحف عثمان، فاهتم الفنان المغربي بهذا الفن وأبدع فيه، والذي يبدو جليا من خلال المخطوطات.

فتنوعت وسائله وطرق تجليده غير أن مصطلح التجليد لم يكن شائعا، وكان يعرف بالتسفير وهو مصطلح خاص ببلاد المغرب الإسلامي.

# نتائج الدراسة



نتائج الدراسة:

تعد الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها، وأفضلها أجرا، فأقسم الله بها في عدة مواضع من آياته الكريمة وقد سبق ذكرها لذا يمكننا القول أن سكان المغرب اهتموا بمواد صناعتها والتي تطورت وتنوع استعمالها بمختلف أقاليمها .

ففي ختام بحثنا هذا المتواضع استطعنا الإجابة من خلاله عن بعض الإشكاليات المطروحة ولإزالة الغموض بالوسائل والمواد التي استعملت في تدوين المخطوط حاولنا حصرها فيما يلي:

-لقد شرف الله عز و جل القلم أنه سبحانه قد خلقه الله ، لذا يعد القلم في الحضارة الإسلامية من أبرز الوسائل المقدسة والتي يجب على المسلم الاهتمام بها من أجل التقرب لله عز وجل سواء كان بالشرق أو بالمغرب ، فالقلم يخدم الإرادة و لا يملُ الاستزادة، يسكت قائما و ينطق سائرا، في أرض بياضها مظلم، و سوادها مضيء، على حد تعبير ابن المعتز.

- عند ظهور وظيفة الكاتب في الدولة الإسلامية نذ وقت مبكر، انطلاقا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان من بينهم من هو كاتب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، يكتبون له سور القرآن ويجرون له الكتب الذي قام ببعثها إلى ملوك عصره، ويسجلون له أمور الدولة من موثيق... الخ، فتطورت بتطور واتساع رقعة الدولة الإسلامية، مما زاد ن اهتمام الكتاب للقلم وتقنيات بريه وأصبح لكل رقعة نوع خاص من الأقلام، فكان للمغرب الإسلامي قلم خاص وقد تقدم ذكره.

فمن خلال تطرقنا للمخطوط يمكن القول بأنه يمكن الاعتماد على الخط في تحديد تاريخ نشأة المخطوط وتحديد أماكن صناعته، وهذا من خلال انتشاره غير أنه لا يمكن الجزم به.

أما فيما يخص القلم المغربي المستعمل في تدوين المخطوط بمختلف أنواعه، فصنع من القصب والریش والذهب والفضة، غير أن الاستعمال الشائع في بلاد المغرب الإسلامي، من مادة القصب وهذا لسهولة الحصول عليه وتنوعه بالمنطقة.

وبتنوع الأقلام فقد خصص الكاتب المغربي مقلمة لحفظ أقلامه، ففي عصر الموحدين كانت تصنع من الجلد تشمل بدورها على مخبأ للأقلام، التي تتراوح بين قلم وأربعة أقلام، فمن خلالها يتبين لنا بأن الكاتب المغربي لا يتعدى في كتابته أربع أقلام، كما تحتوي المقلمة على مخبأ لخصص لوضع السكينة فيه ليري الأقلام.

كما يمكننا الجزم بأن مفهوم الدواة بالمغرب الإسلامي أخذت شكلا آخر، فتطلق الدواة بالمغرب الإسلامي علي المحبرة. بمفهومها بالمشرق الإسلامي.

لقد عرف المغرب الإسلامي ثورة علمية مما ساعد على تطور تقنيات عقد المداد بمختلف أنواعها، وألوانها فكان لها دورا في إخراج المخطوط بأحسن صوره ويبدووا ذلك جليا من خلال ملحق اللوحات، فتميز المداد المغربي عن غيره من المداد، ولعله من أبرزها المداد الأسود الذي يضرب للحمرة، الذي نجده في جل المخطوطات التي هي محفوظة ببلاد المغرب الإسلامي .

كما استعمل الكاتب المغربي، مجموعة من الألوان من أبرزها اللون الأحمر، الأصفر

والذهبي، الأزرق

من خلال ما سبق ذكره يبدو لنا أن المغرب الإسلامي لم يعرف الورق إلى منتصف القرن السادس للهجرة، فكان يكتب علي الرق الذي كان منتشرًا بكثرة، وهذا لطبيعة المنطقة ووفرتة وسهولة صناعته.

كما اهتم سكان المغرب بتجميل المخطوط و تجليده ، فبلغت إلى غاية الكمال من التحسين و التجليد، وقد بذلوا جهدا فنيا كبيرا في هذا الضرب، فأصبحت ذات طابع خاص يميزها حتى عن شقيقتها في المشرق. ولعل أبلغ ما يصور الرقى الذي وصلت إليه هذه الصناعة في المغرب هو ما عمله الخليفة الموحد الأول عبد المؤمن بن علي في تحلية و تجميل المصحف العثماني ، كما أصبح بما يطلق مصطلح التسفير علي تجليد الكتب وهذا للحفاظ على أوراق المخطوط.

ومما ساعد على إنتاج و تطور الوسائل والأدوات المستعملة في تدوين الخطوط كون المغرب يتشكل أحد محاور النشاط الحيوي الموقع الاستراتيجي وتوسطه لشبكة الطرق التجارية، التي كانت تنطلق من المشرق إلى الأندلس ودول أوروبا، خاصة، وأنه في تلك الفترات كانت تعاليم الدين والدعوة الإسلامية تنشر عن طريق التجارة من خلال المعاملة الحسنة

# الجد اول

عدد الخزائن	البلاد	عدد الخزائن	البلاد
285	الولايات المتحدة	16	مصر
145	ألمانيا/النمسا	08	الجزائر
120	الإتحاد السوفياتي	06	فلسطين
76	بريطانيا	06	لبنان
67	فرنسا	15	سوريا/العراق/اليمن
48	إيطاليا	10	المغرب
21	سويسرا	07	تونس
13	بلجيكا	15	هولندا
06	أندامرك	09	ألبانيا
/	/	02	اليونان

الجدول رقم 1-1- يمثل إحصاء عدد الخزائن سنة 1946 عن (اليوم الدراسي لواقع المخطوط بالجزائر)

المواد المكونات	المطبوخ	المعصور	المنقوع	الغبار
العصفه	جزء	جزءان	جزءان	جزء
الصمغ	جزء	جزء	نصفه جزء	جزء
الزاج	ربع جزء	عشر جزء	ربع جزء	نصفه جزء
الماء	جزء	جزءان	ثلاثة أجزاء	جزء ونصفه

الجدول رقم 2- يمثل مقادير المداد بتصرف الطالب عن (أبو بكر القالوسي)

# اللوحات



اللوحة رقم - 1 - تمثل صورة للخط الكوفي القهستاني عن (محمد المنوني)



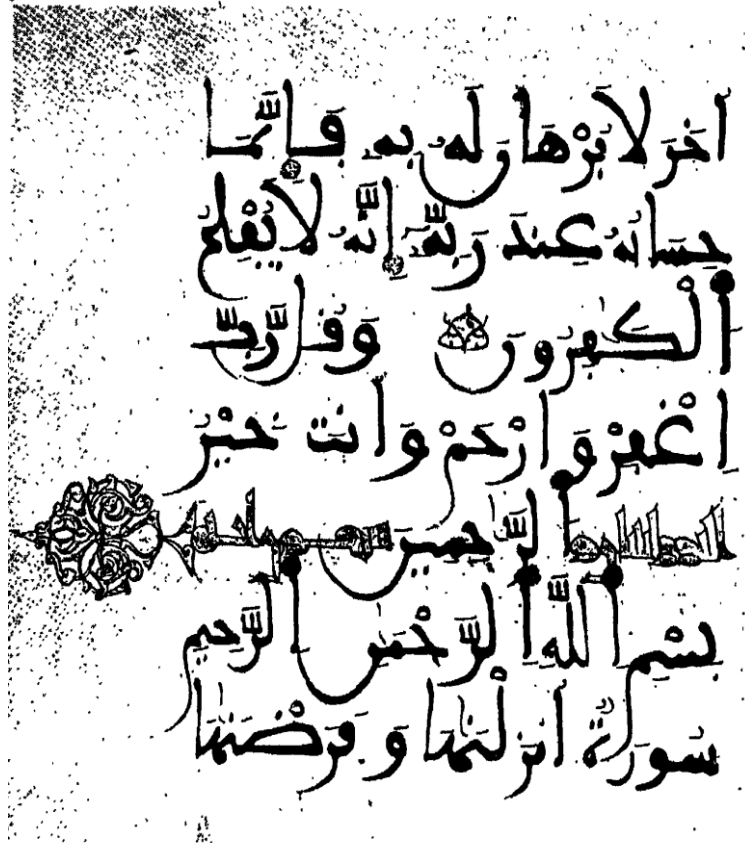


اللوحه رقم -2- تمثل صورة لخط المبسوط مأخوذة من إحدى أوراق مخطوطة بخزانة كنتي بتتراست

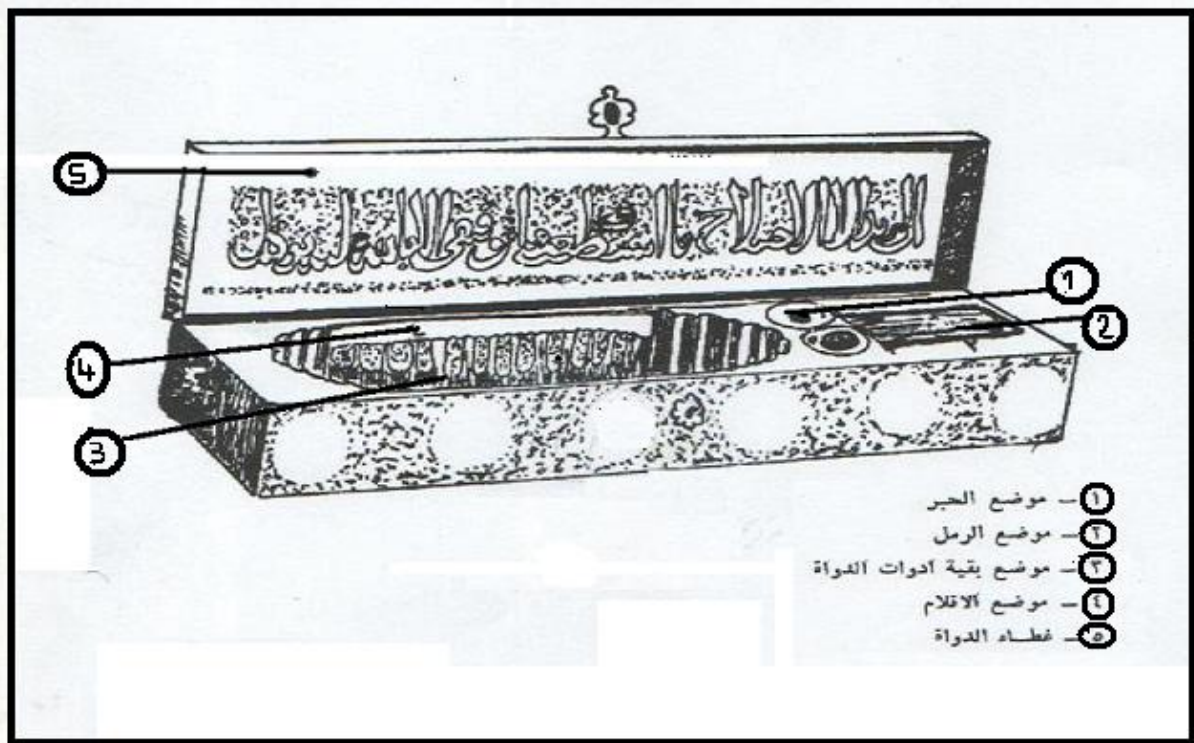
ثم هي أكتب في الكاغية حتى استقامت في رجاها، وتمزق أو كساها،  
بلازوت ابن عمنا الشيخ مولاي أحمد بن محمد الله - وكان ذا خلق حسن،  
تمزق مستحسن، وكان يُعَامِنِي الكُتَابُ العَرَبِيَّةَ، وأتسا فتها، ويفر لي النسبة  
من الكتابة وتعرف بها .. "

اللوحة رقم - 3- تمثل صورة للخط المجوهر عن (محمد المنوني)

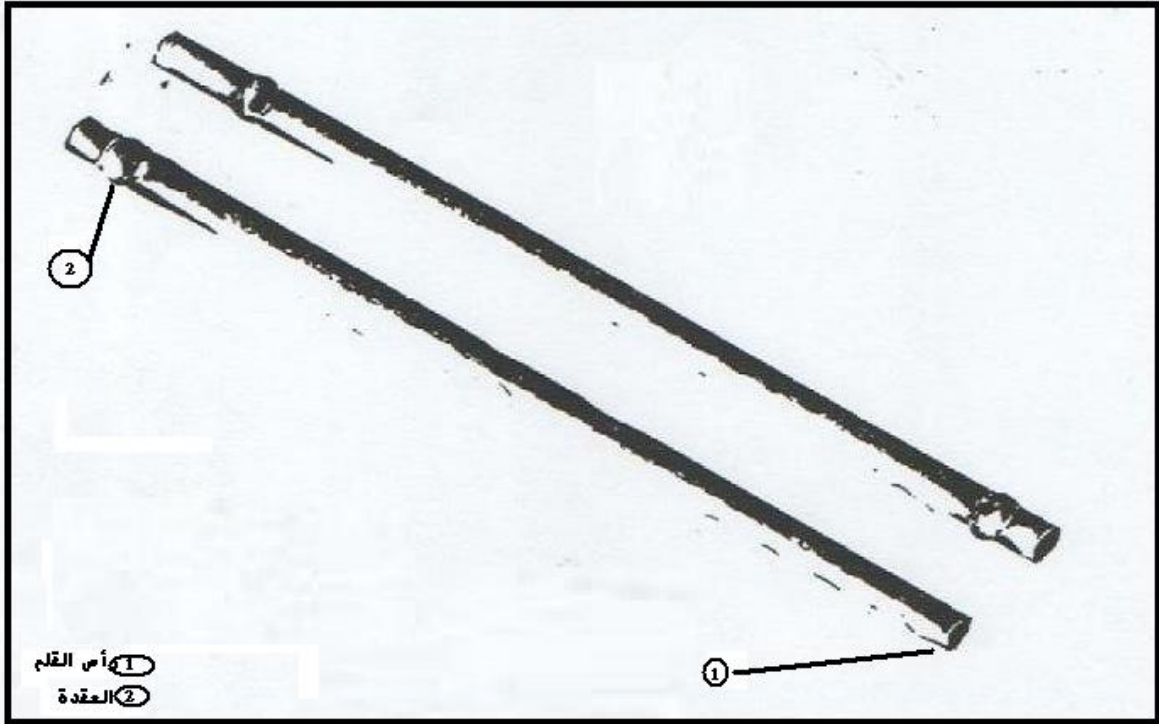
للخطاط محمد المعلمين بينما الفقرة فهي من كتاب حلية الكتاب ومنية الطلاب لأحمد الرفاعي وهي محفوظة بالخزانة العامة بالرباط



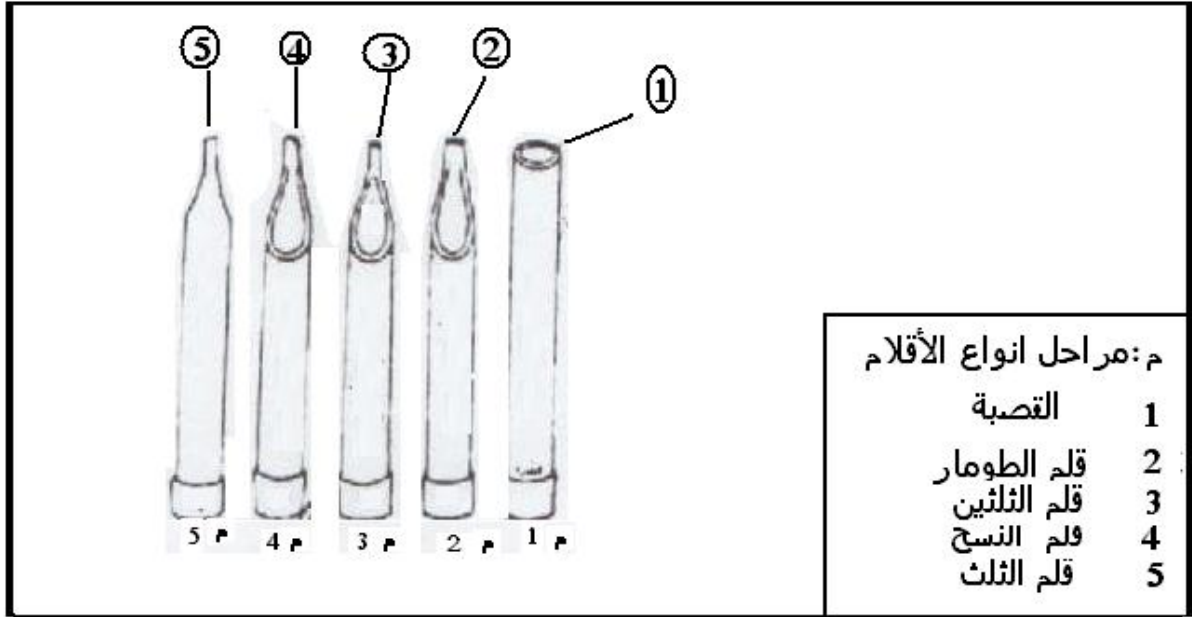
اللوحة رقم-4- تمثل الخط النسخ المغربي عن (يحيى الجبوري)



اللوحة رقم-5- تمثل الدواة بمكوناتها عن (زكي حسن)



اللوحة رقم 6- تمثل أطراف القصبة ومحل البراية منها عن (إدهام محمد حنش).



اللوحة رقم-7- تمثل مراحل وأقسام الأقلام بتصريف الطالب عن: (ادهام محمد)



اللوحة رقم 8- تمثل أنواع الأقلام المستعملة في الكتابة عند المشاركة بمختلف أنواعها (محمد إدهام)

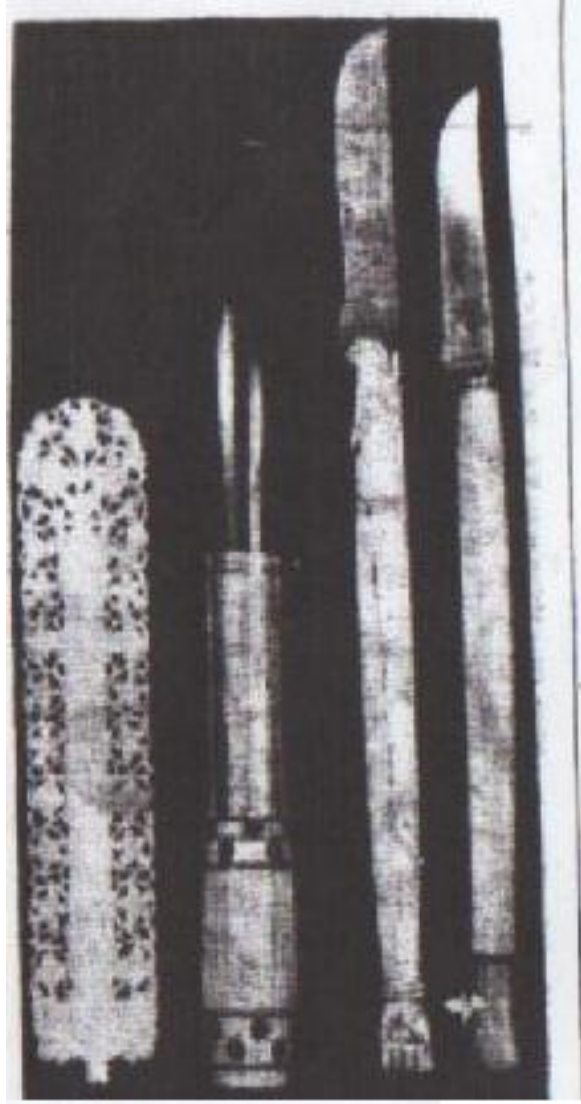


اللوحة رقم 9- تمثل الفرق للشكل الخارجي بين القلم المشرقي والمغربي  
عن: (عمر أفا)

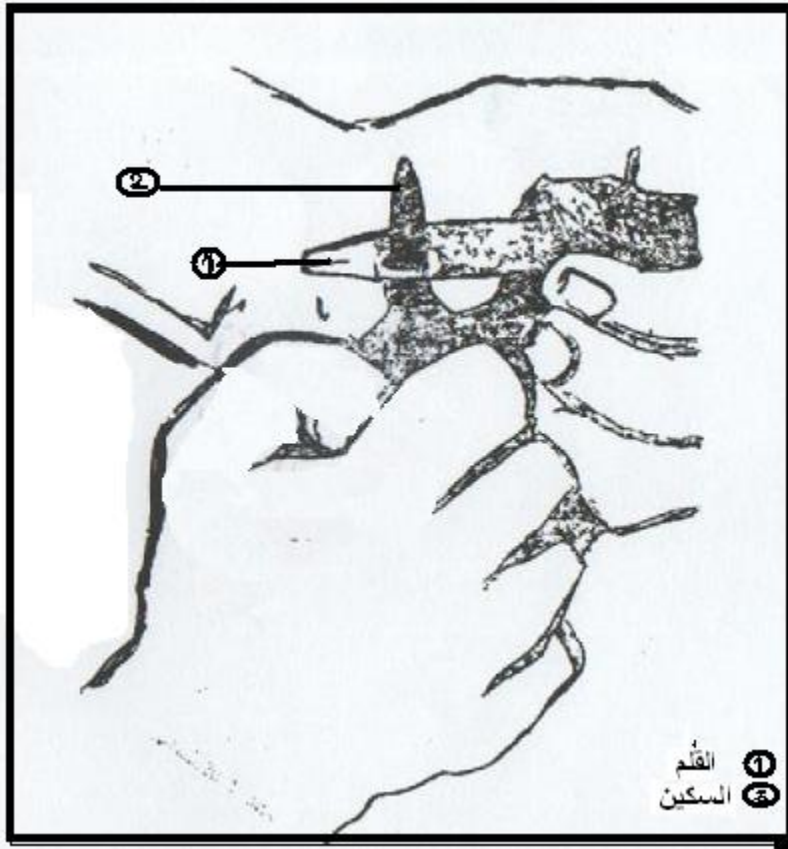




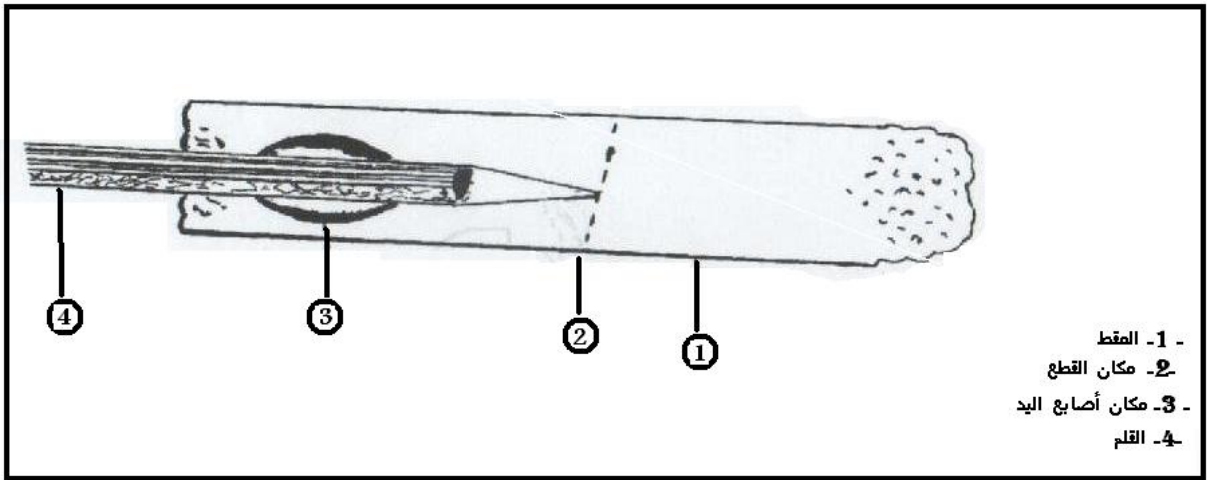
اللوحة رقم-10- تمثل صورة للأقلام المغربية بتصريف عن: ( عمر أفا)



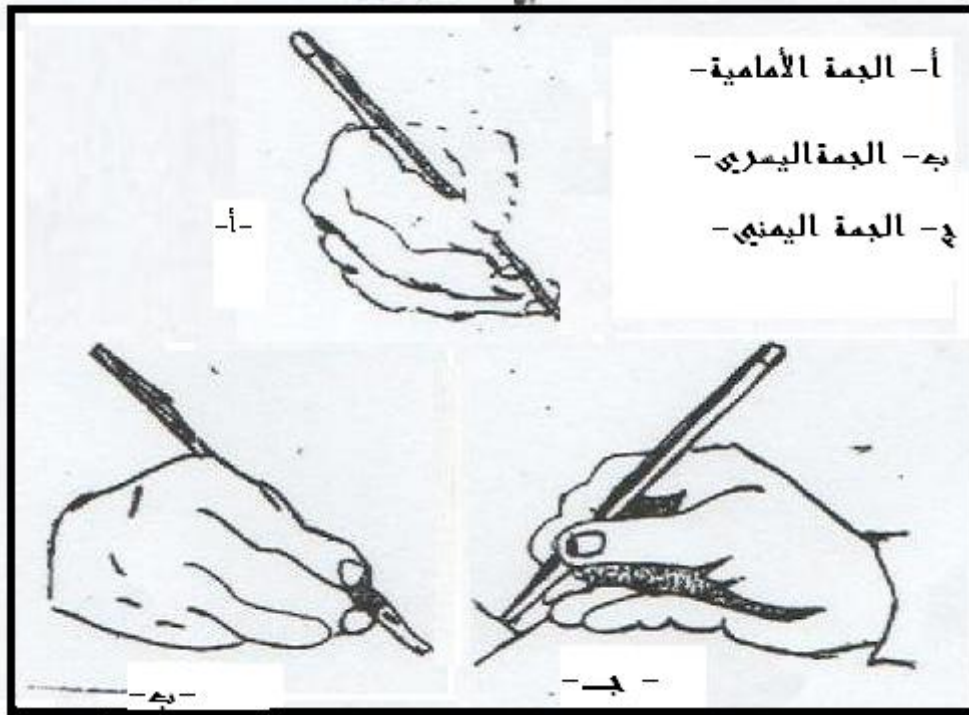
اللوحة رقم-11- يمثل السكين الذي يبيري به عن : (عمدة الكتاب)



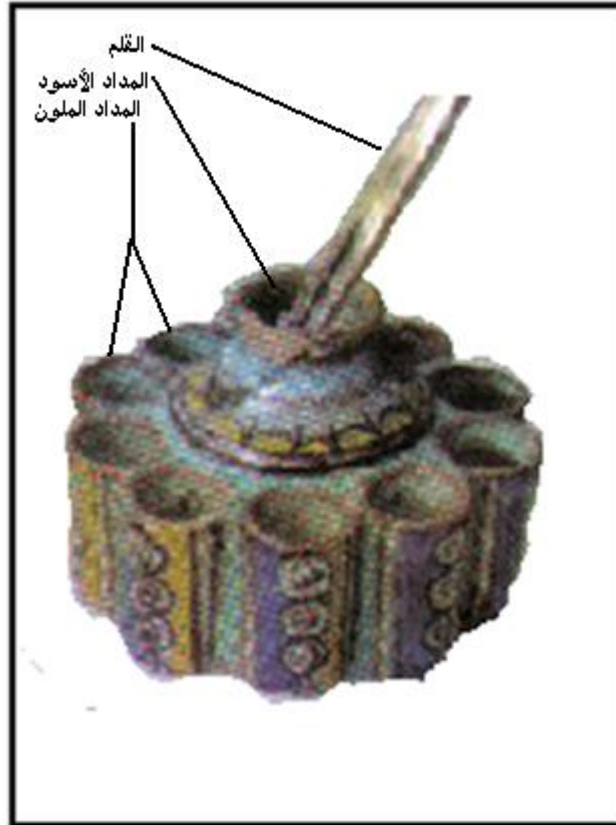
اللوحة رقم-12- تمثل طريقة مسك السكين ويري القلم عن : (هلال ناجي)



اللوحة رقم -13- تمثل رسم تخطيطي للمقط وتقنية القط عن: (هلال ناجي)



اللوحة رقم-14- تمثل رسم تخطيطي لطرق مسك القلم عن: (هلال ناجي)



اللوحة رقم-15- تمثل الدواة المستعملة ببلاد المغرب المتعدد الألوان بتصريف عن: (عمر أفا)

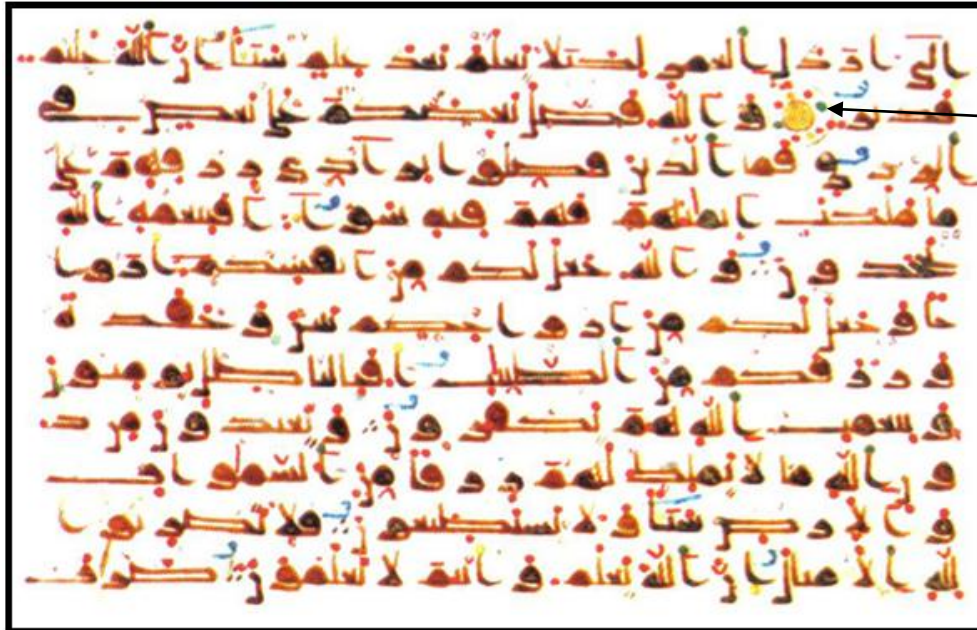


اللوحة رقم-16-تمثل الكتاب المخطوط خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بكوسام أدرار



اللوحه رقم 17- تمثل صورة لكتابة بالمداد الأسود المحمر لمخطوطة بزايوة كنتي بتمنراست

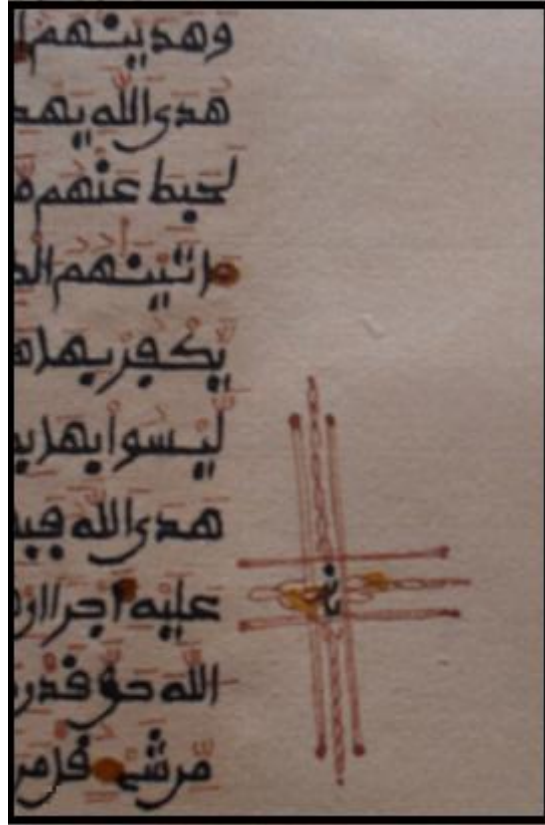




اللوحة رقم 18- تمثل صورة للاستعمال المداد الأخضر تعود للقرن الثالث هجري عن: (عمر أفا)



اللوحة رقم-19- تمثل الزخرفة بالمداد الأزرق لمخطوطة بزواوية كنتي بتمنراست



اللوحة رقم 20- تمثل إستعمال المداد الأحمر في الزخرفة وشكل المصحف الكريم لمصحف

بخرانة القائم بتمنراست



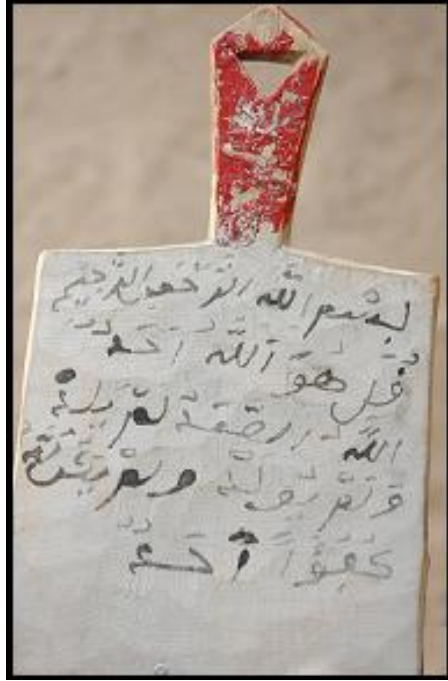
اللوحة رقم- 21- تمثل استعمال المداد الأحمر والأصفر والأسود لمخطوطة للمصحف الشريف بخزانة القائم بتمنراست



اللوحه رقم 22-تمثل الكتابة بالمداد الأصفر الذهبي وهي لمصحف الشريف كتب بخط المرتضي الموحدي عن: (عمر أفا)



اللوحة رقم -23- تمثل أجزاء الدواة المغربية بتصريف عن: (عمر أفا)

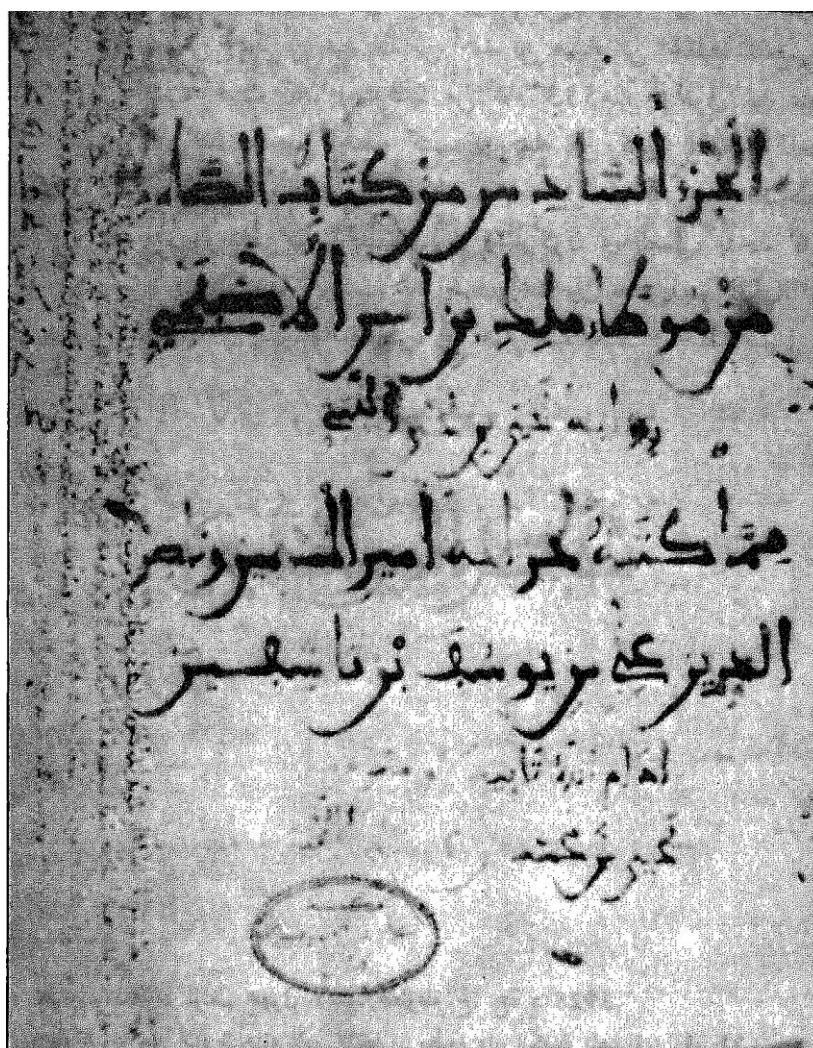


اللوحه رقم -24- تمثل إحدى لوحات التي يحفظ بها القرآن الكريم في المدارس القرآنية بتمنراست

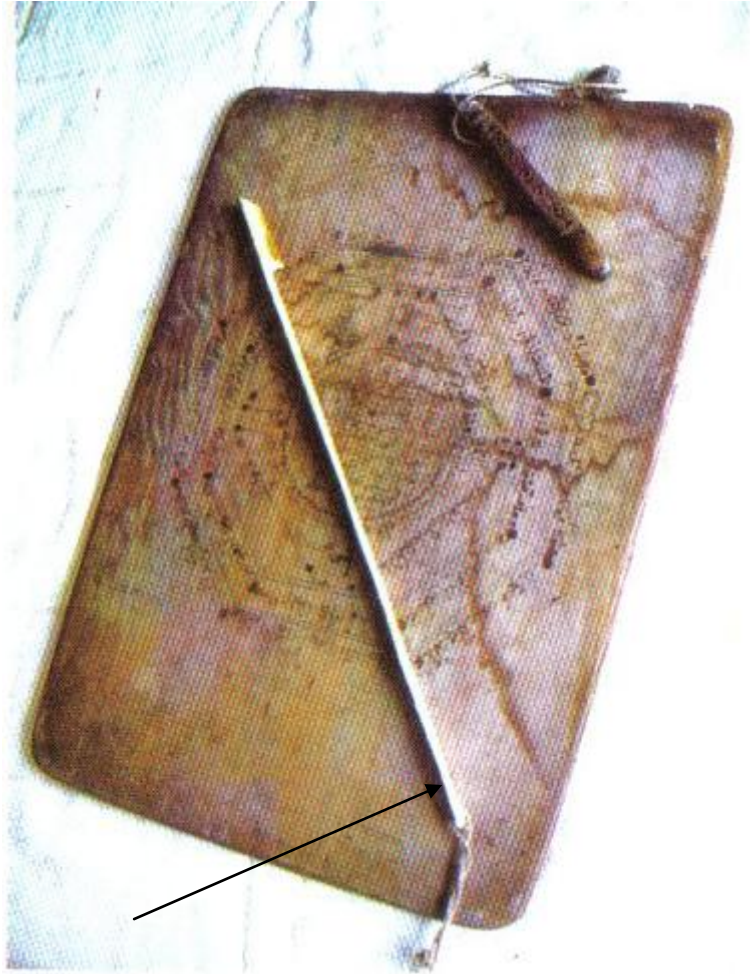


اللوحة رقم-25- تمثل مصحف شريف كتب على الرق بالخط الكوفي القيرواني وهو محفوظ بمتحف الإسكندرية للأثار الإسلامية

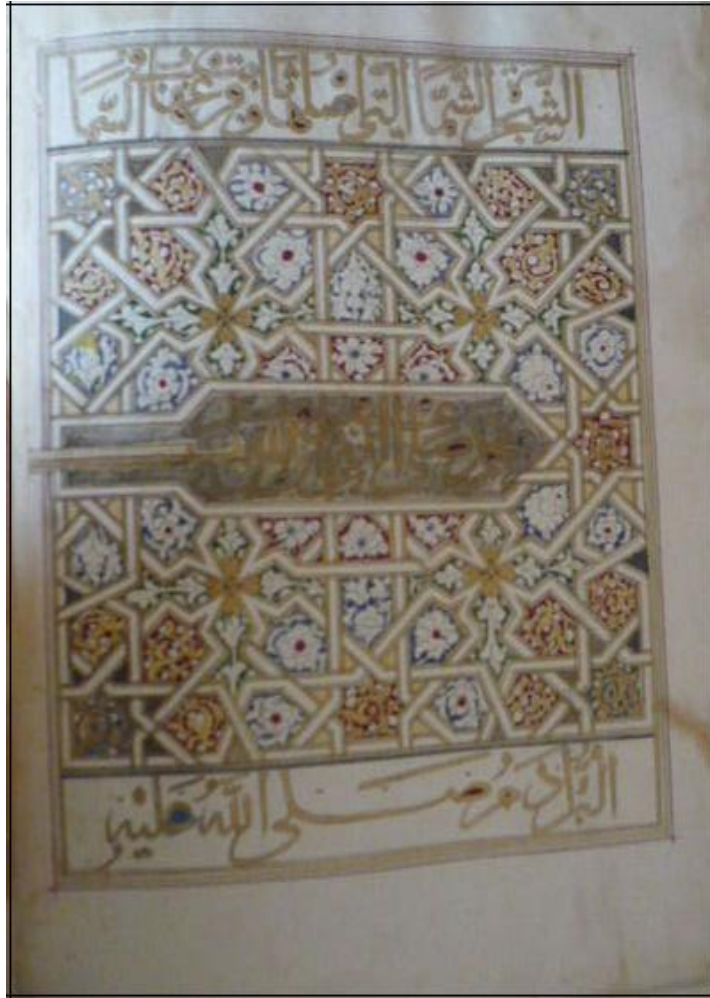




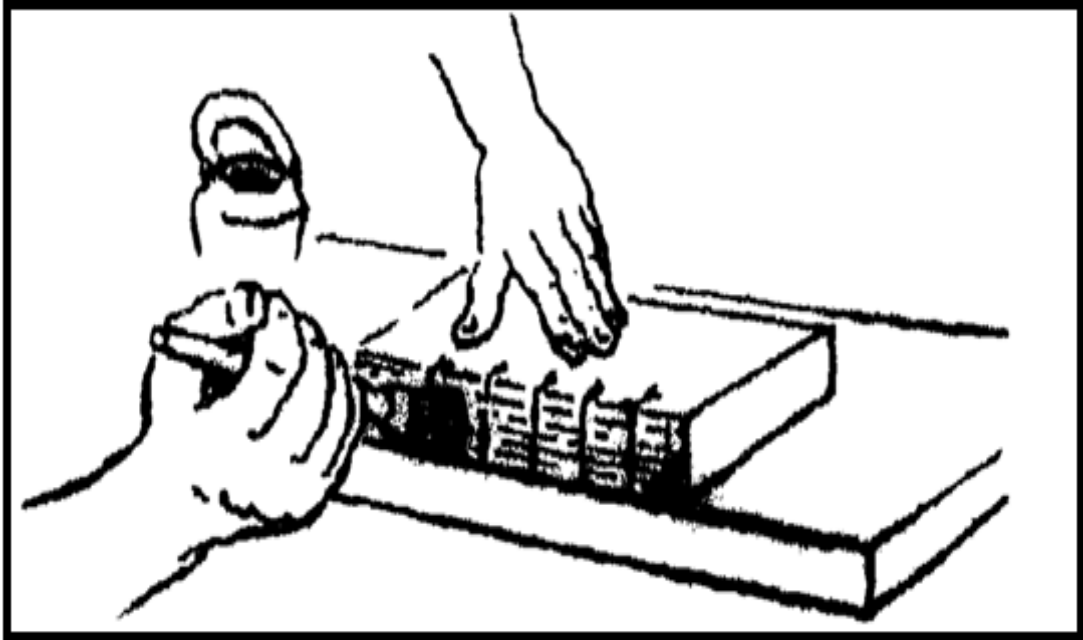
اللوحة رقم 26-تمثل الصفحة الأولى من نسخة الموطأ للإمام مالك من القرن السادس للهجرة وهي محفوظة في خزانة القروين رقم 605.



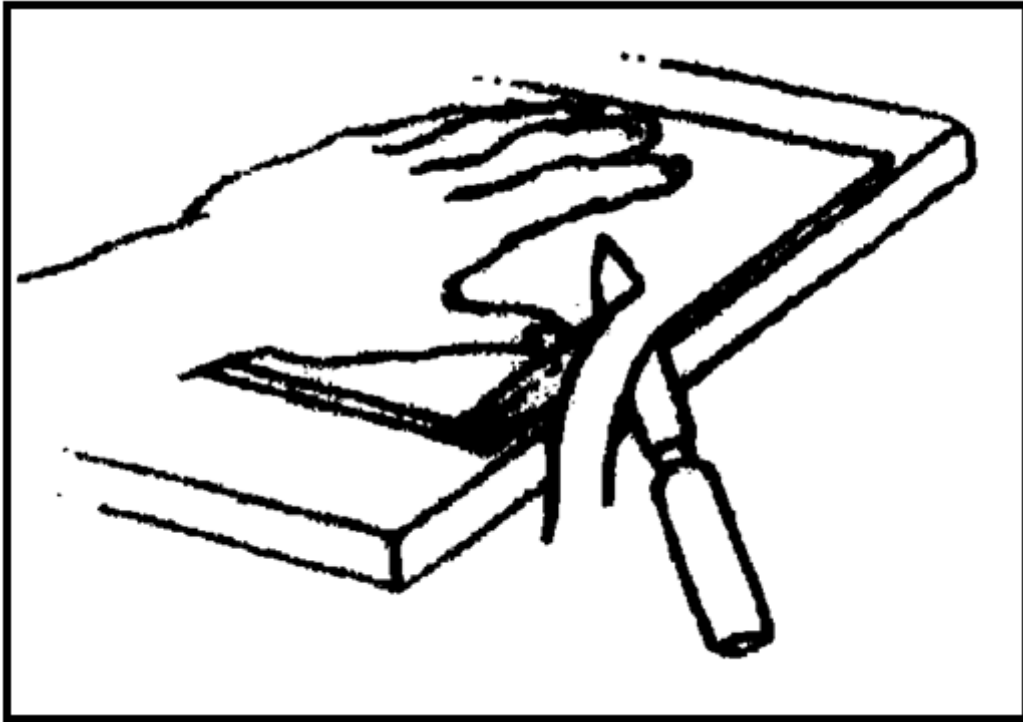
اللوحة رقم-27- تمثل شكل المسطرة التي يسطر بها للكتابة  
عن:(عمر أفا)



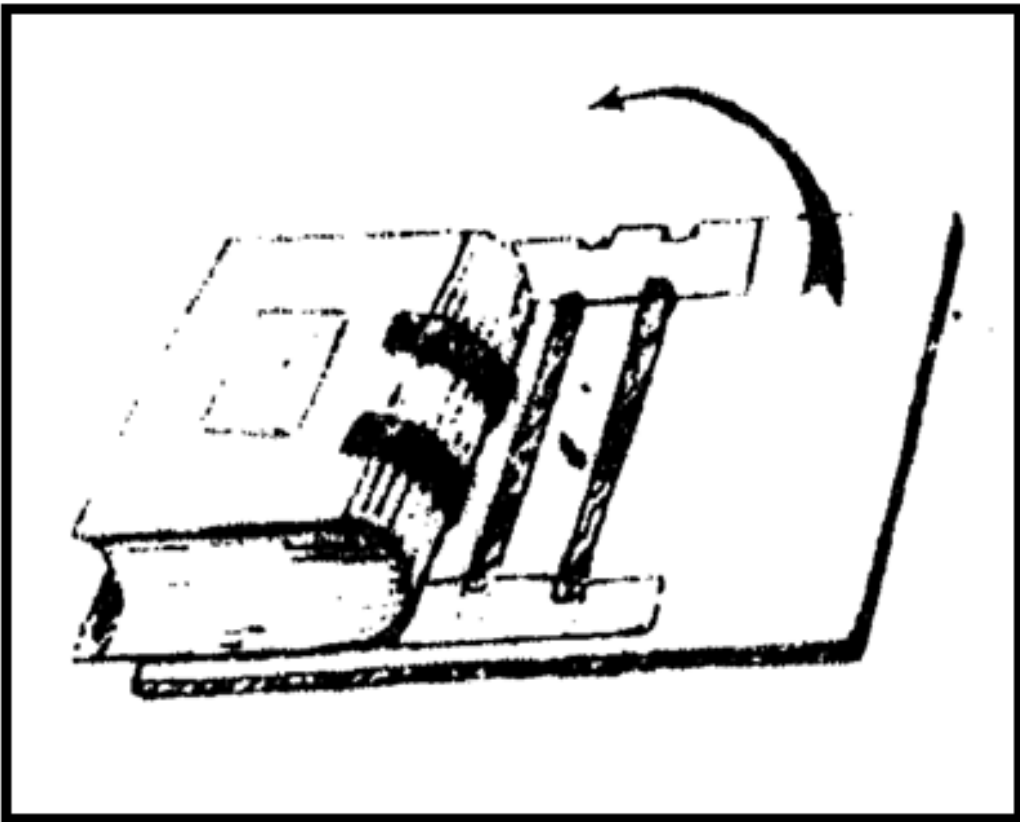
اللوحة رقم-28- تمثل الزخارف النباتية والهندسية لإحدى صفحات مخطوط بالجمعية ولاية تمنراست



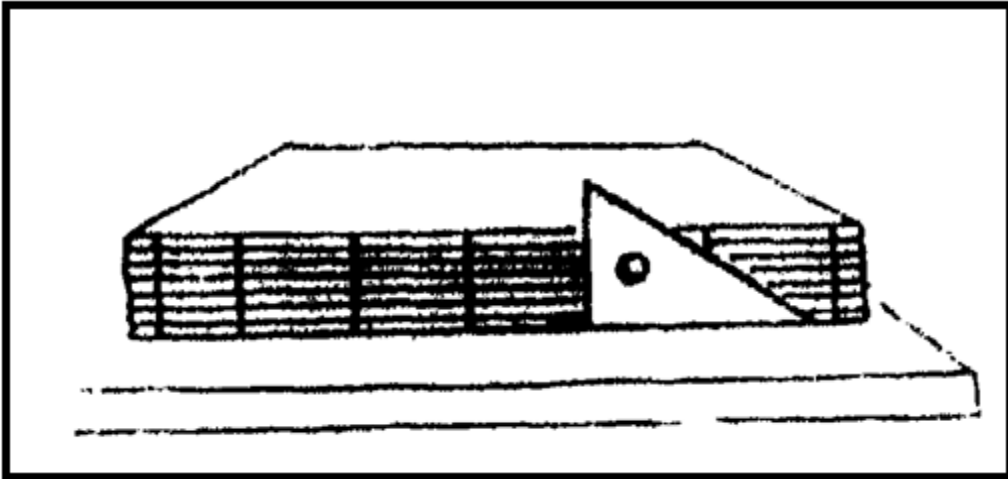
اللوحة رقم - 29- تمثل كيفية تغرية الكتاب عن (مصطفى السيد يوسف)



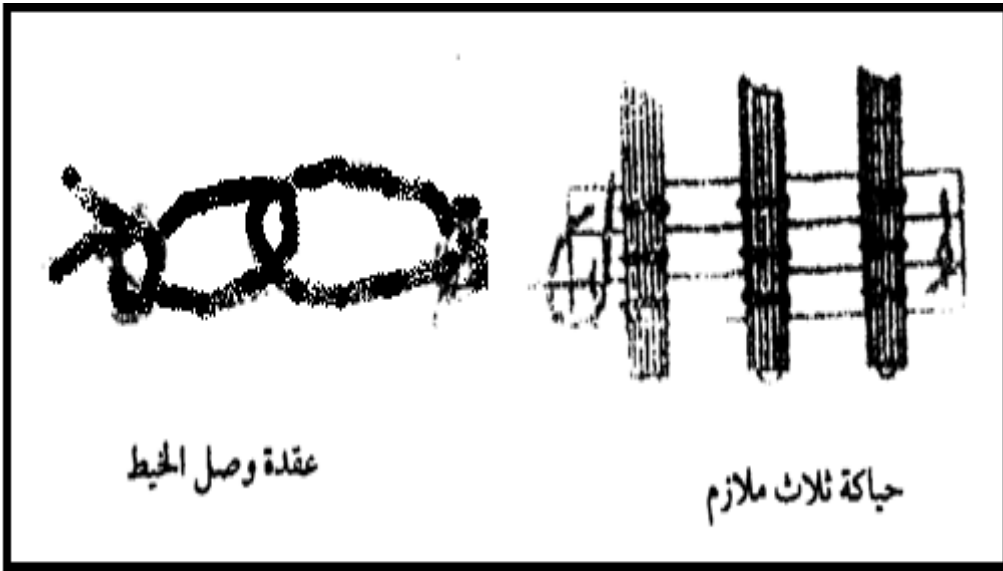
اللوحة رقم 30- تمثل بشر الجلد بميل السكين عن (مصطفى السيد يوسف)



اللوحة رقم - 31- تمثل صورة للصق الغلاف الجلدي الخارجي عن (مصطفى السيد يوسف)

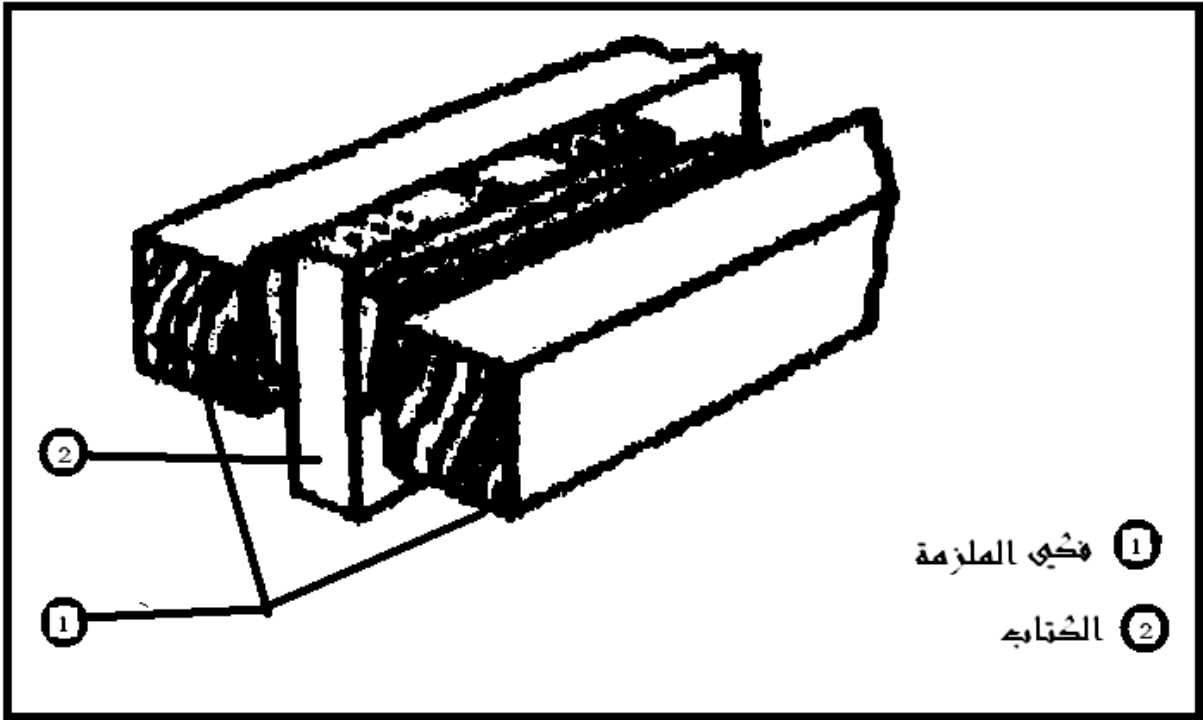


اللوحة رقم -32- تمثل لإستخدام الزوايا في التسوية للخياطة عن (مصطفى السيد يوسف)

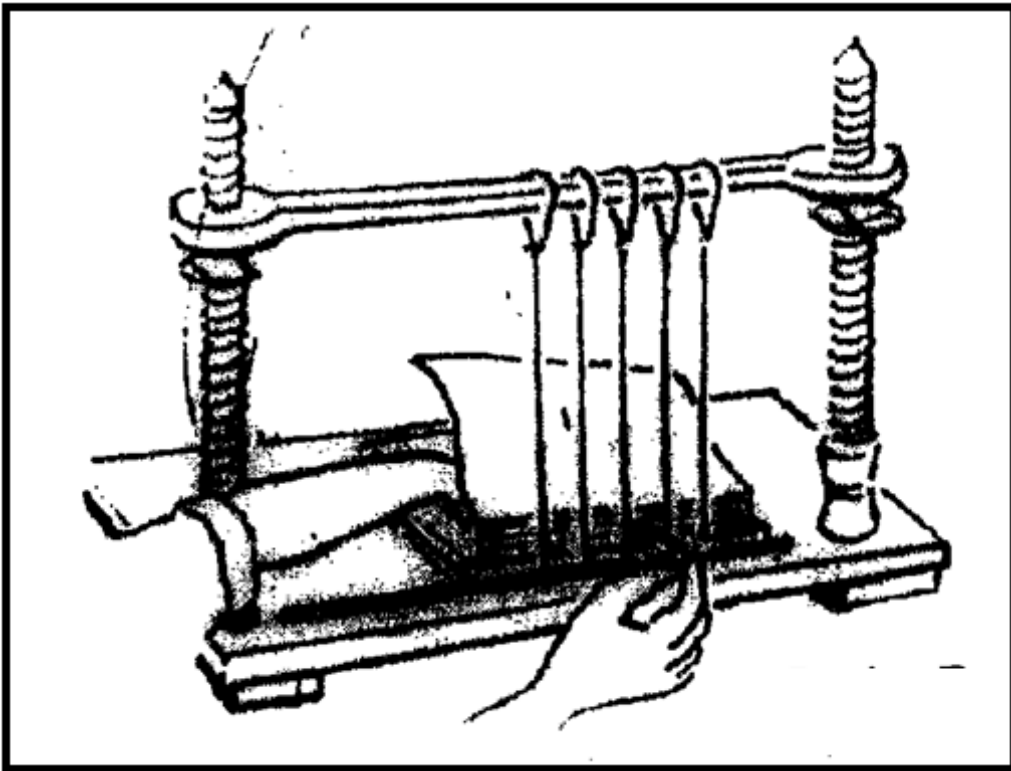


اللوحة رقم 33- تمثل كيفية حياكة الملازم مع الأشرطة وكيفية وصل الخيط عن ( مصطفى السيد يوسف )





اللوحة رقم- 34- طريقة وضع فكي الملزمة والكتاب عن (مصطفى السيد يوسف)



اللوحة رقم - 35- تمثل لكيفية تجهيز الكعب عن (مصطفى السيد يوسف)



اللوحة رقم-36-تمثل لأجزاء آلة التجليد الجلد من خزانة كوسالم بأدرار

# ثَبَّتْ الْمَصَادِرَ وَالْمَرَاجِعَ

قائمة المصادر و المراجع باللغة العربية :أ\_ المصادر :

- 1) القرآن الكريم. (رواية ورش عن نافع).
- 2) ابن خلدون(عبد الرحمان)(ت 808هـ)
- أ- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم  
والبشر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 1 دار الكتاب  
المصري، القاهرة، 1999.
- ب- المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد، ج 2، القاهرة، لجنة البيان العربي، 1966م
- 3) ابن الآبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) (ت 658هـ)
- 4) أ-الحلة السراء في شعر الأمراء، عمان، دار الفكر ، ج 1.
- 5) ب- اعتاب الكتاب، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ط 1، 1961
- 6) ابن صاحب الصلاة (عبد الملك ابن حمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم) (ت 594هـ)،  
المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1987.
- 7) ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم) (ت 276هـ)،  
رسالة في الخط و القلم، تحقيق حاتم صالح الضامن، مجلة الجمع العلمي العراقي ،جامعة بغداد  
ج 4، م 39، 1986.
- 8) ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد) (ت 328هـ)،  
العقد الفريد، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1948، ج 4.
- 9) ابن عذارى (أبو عبد الله محمد المراكشي) (ت 706هـ)،  
اليومان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، حققه وراجعه  
ج.س. كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983.
- 10) ابن منظور (أبو الفضل جمال) (ت 320هـ)  
لسان العرب ، مج 1 ، دار صادر ، بيروت ، 1956 .



- (21) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي (ت454هـ)،  
عمدة الكتاب وعدة ذوى الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي، طهران، مؤسسة الطبع والنشر في  
الآستانة الرضوية المقدسة، ط1.
- (22) .اليقوي (أبو العباس أحمد) (ت284هـ) ،  
البلدان ، تحقيق : ضناوي محمد أمين ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 2002 .
- (23) يوسف بن عبد الحفيظ التتلاي (ت1230هـ)،  
التقيد المجموع لمن هو في هذا الفن مولع، مخطوط، ملك خزانة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي ،  
كوسام، نسخه، الطيب بن عبد الله بن سالم سنة 2001.
- ب \_ المراجع :
- (1) أيمن فؤاد السيد  
لكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1998،
- (2) أبو جعفر  
جامع البيان في تأويل القرآن، الرياض، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000،
- (3) أحمد شوقي بنين  
المخطوط العربي وعلم المخطوطات، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية. 1991.
- (4) الحافظ بن حجر العسقلاني  
فتح الباري في شرح البخاري ، السعودية، الريان، دت، ج6
- (5) صلاح الدين المنجد،  
جامع محاسن كتابة الكتاب ، بيروت ، دار الكتاب الجديدة، 1962،

## 6) صالح بن قربة

- أ- أبحاث ودراسات في تاريخ وآثار الغرب الإسلامي وحضارته، عين مليلة، دار الهدى، 2011،  
 ب- إشكالية فهرست المخطوطات العربية، الملتقى المغربي الأول للمخطوطات، جامعة تيارت، أيام 13-  
 14 ديسمبر 2003  
 ج- المسكوكات المغربية في حضارة المغرب الإسلامي (من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية -  
 مخبر المخطوطات، 2006 .

## 7) سماء زكي المحاسني

- دراسات في المخطوطات العربية الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999.

## 8) السيد السيد النشار

- في المخطوطات العربية، الإسكندرية، دار الثقافة العلمية، 1998 .

## 9) عبد العزيز بن محمد المسفر

- المخطوط العربي وشيء من قضاياها، الرياض، كلية الآداب، 1999.

## 10) عبد الله عبد الرحيم عسيلان

- تحقيق المخطوطات بين الواقع النهج الأمثل، الرياض، مكتبة الملك فهد، 1994.

## 11) عبد الستار الحلوجي

- المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002.

## 12) عبد السلام هارون

- تحقيق النصوص ونشرها، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط7، 1998.

## 13) عبد الفتاح عبادة

- انتشار الخط العربي، مصر، 1915،



- (14) محمد ابراهيم السيد  
مقدمة الوثائق العربية، القاهرة، 1993
- (15) محمد الغزالي  
الحق المر، القاهرة، مكتبة التراث الإسلامي، ط1، 1987
- (16) محمد الطاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط  
تاريخ الخط العربي وآدابه، السعودية، المطبعة التجارية الحديثة، ط1، 1939،
- (17) محمد العلمي السائحي  
أهمية المخطوط ودوره الحضاري، اليوم الوطني الدراسي لواقع المخطوط في الجزائر، 31ماي1999، ورقة  
، مؤسسة أشغال الطباعة، 2000، ص ص28-29.
- (18) معجد المنويّ:  
أ- تاريخ الوراقة المغربية، الرباط ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، 1991.  
ب- تقنيات إعداد المخطوط المغربي ضمن، المخطوط العربي وعلم المخطوطات، المملكة المغربية، منشورات  
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم 33
- (19) مصطفى السيد يوسف  
صيانة المخطوطات علما وعملا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000،
- (20) محمد مغراوي-عمر أفا  
الخط المغربي، تاريخ وواقع وآفاق، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، 2007،
- (21) يحيى وهيب الجبوري  
الكتاب في الحضارة الإسلامية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998،

ت \_ الأطروحات والرسائل :

- أطروحات الدكتوراه:

1. صالح بن قربة

المسكوكات الإسلامية المغربية على عهد الموحدين والحفصيين و المرين، أطروحة دكتوراه دولة ،جامعة الجزائر، 1996.

- رسائل الماجستير

1-أحمد منصوري

واقع وآفاق صيانة وحفظ المخطوطات بالجزائر(حالة مخطوطات الخزانة البكرية بتمنطيط ولاية أدرار)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، تخصص صيانة وترميم، معهد الآثار جامعة الجزائر، 2007/2008.

ث \_ المجالات :

هلال ناجي

أ-شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة لابن البواب، شرح ابن البصيص وابن الوحيد، مجلة المورد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، م15، ع4.

ب-بضاعة الجود في الخط وأصوله، مجلة المورد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، م15، ع4

ج-منهاج الإصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة للزفتاوي، مجلة المورد، العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، م15، ع4.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 1-Binbine (Ahmed chouqui) ,histoire des bibliothèques ou Maroc ,rabat ,1992.
- 2.-Gacek (Adam),the Arabic manuscrit,brill,2001.

# فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

مقدمة.....	أ-ك
<b>المدخل العام</b>	
1/ تعريف المخطوط.....	3
2/ أهمية دراسة المخطوط.....	6
3/ ظهور الكتابة والدواة.....	10
4/ أهم المخطوط العربية.....	14
<b>الفصل الأول أهمية القلم ودوره الحضاري.</b>	
تمهيد.....	21
1 /فضل ذكر القلم .....	21
1-2- صفة القلم .....	24
2-2- طول الأقلام وغلظها.....	26
2-3- أنواع الأقلام.....	27
2-4-مقاسات الأقلام.....	29
1-3- مواد صنع الأقلام.....	30
2-3- السكين.....	31
3-3- المقط.....	33
1-4- تقنيات البري.....	34
2-4- إمساك القلم.....	36
3-4- المقلمة.....	37
4-4- الفرشة.....	38
4-5- المسحة.....	38
خلاصة.....	39

## الفصل الثاني المداد وأهميته الحضارية.

42.....	تمهيد.....
42.....	1/فضل ذكر المداد .....
45.....	2/مواد وتقنيات صناعة المداد.....
49.....	2-2- المداد المغربي.....
50.....	2-3 ألوان المداد.....
54.....	3 مستلزمات المداد.....
56.....	4/الإستمداد.....
58.....	خلاصة.....

## الفصل الثالث المواد التي يكتب عليها.

61.....	تمهيد.....
62.....	1/مواد الكتابة.....
68.....	2/دخول الورق للمغرب الإسلامي.....
71.....	3-1أنواع الأوراق.....
72.....	3-2 أحجام الأوراق.....
74.....	4 مستلزمات مواد الكتابة.....
75.....	5-خلاصة.....

## الفصل الرابع مواد تجميل المخطوط.

78.....	تمهيد.....
79.....	1 الترميل.....
79.....	1-1/المرملة.....
80.....	1-2/الرمل.....
81.....	2-التسفير:.....
81.....	2-1/المنشأة.....
83.....	2-2/اللواصق.....
84.....	2-3/الجلود.....

86.....	2- 4/التبطين.....
87.....	2- 5/البشر.....
88.....	2-6/ تركيب الجلد.....
88.....	2-7/الحبك.....
89.....	2-8/ التخزيم.....
90.....	2-9/ التقفية.....
91.....	3-الأدوات المستعملة في التسفير.....
93.....	الخلاصة.....
94.....	نتائج الدراسة.....
	الملاحق.....
98.....	1 _ ملحق الجداول.....
100.....	2 _ ملحق اللوحات.....
138.....	3 _ ثبت للمصادر و المراجع.....
146.....	4- فهرس الآيات.....
151-147 .....	5- فهرس الموضوعات.....